الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
ISLAMIC UNIVERSITY OF MADINAH

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم

التوحيد ٢

رمز المقرر ٣٠١٦ عقد

الإصدار الأول ١٤٤١هـ - ٢٠٢٠م

كلية الدعوة
وأصول الدين
قسم : العقيدة

فهرس

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم، التوحيد هو أعظم ما يلقى العبد ربه به يوم القيامة، وغاية إرسال الرسل وإنزال الكتب، والتوحيد هو المحك بين الناجي والهالك عند الله تعالى، ولا شك أن تحقيق التوحيد ومعرفة ما يرضى به الله عن العبد هو أوجب الواجبات.

والتوحيد هو عقيدة الرسل كلهم، من لدن آدم إلى خاتمهم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

ومهما عمل المرء واجتهد في هذه الحياة، فإن عمله وجهده إن لم يكن تحت راية التوحيد، ينهل من تعاليم الرسل، فإن عمله هباء مردود عليه.

والتوحيد كما يقول ابن القيم: أجل المشاهد وأرفعها. فإذا امتلأ قلب العبد بمحبة الله، والإخلاص له ومعاملته، وإيثار مرضاته، والتقرب إليه، وقرة العين به، والأنس به، واطمأن إليه. وسكن إليه. واشتاق إلى لقائه، واتخذه وليا دون من سواه، فإنه لا يبقى في قلبه متسع لشهود أذى الناس له ألبتة.

ولا شك أن تحقيق هذا المشهد له طريق يوصل إليه.

وهذه المادة التي بين يديك أخي الطالب تبين بعض الطرائق الموصلة إلى غاية الغايات وهو التوحيد، إذ تتناول الإيمان بالملائكة، وهم حملة وحي الله لرسل الله من حيث صفاتهم وأعمالهم وثمرة الإيمان بهم، ثم الكتب التي تحتوي على أمر الله ونهيه لعبادة وإرشاده لطريق الاستقامة، ثم تتناول القرآن كتاب الله الأعظم الذي امتن به على أكمل الخلق، لتقوم به خير أمة.

ثم تتناول الإيمان بالرسل وصفاتهم وخصائصهم ومنزلتهم، وثمر الإيمان بهم، متناولة في ثنايا الحديث عنهم أهم ما طعن به الطاعنون في رسالاتهم، ثم خصائص نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وكرامة الله له من بين الأنبياء.

ولقد جاء الكتاب في تأليفه يقوم على مؤلفات السلف رضوان الله عليهم، ولا يحيد عن منهجهم في تناول هذه القضايا، سطوره من سطور السلف، وكلامهم الذي يشبه الدواء لكل داء، ومن علمهم الأتم، فإن منهجهم هو الأعلم والأحكم، والأقوم.

ولقد تناولنا القضايا فيه من أمهات كتب السلف ككتب شيخ الإسلام، وشراح الطحاوية السالفين منهم والمعاصرين، وما دونته المجلات التي عنيت بتحرير منهج السلف وتدوينه، وتقديمه على ما سواه من المناهج والاتجاهات.

ولقد سقناه في عبارة سهلة، قريبة المأخذ، عظيمة الدلالة، بينة المقصد، ودللنا على القضايا بما صح من الأحاديث، وبينا درجة الحديث فيما ليس في الصحيحين.

وإنا لنرجو الله تعالى أن يكتب لهذه السطور، ويجعلها مذخورة لنا عنده ن وأن ينفع بها دارسها ومدرسها، والله من وراء القصد وهو حسبنا ونعم الوكيل.

الدرس الأول: المراد بالإيمان بالملائكة، وحكمه، وصفاتهم، وأعمالهم، وأدلة ذلك، والمراد بالجن وما يتعلق بهم

عناصر الدرس الأول: المراد بالإيمان بالملائكة، وحكمه، وصفاتهم، وأعمالهم، وأدلة ذلك

- العنصر الأول: المراد بالإيمان بالملائكة وحكمه:
- العنصر الثاني: أعمال الملائكة:
- العنصر الثالث: ثمرات الإيمان بالملائكة:
- العنصر الرابع: المراد بالجن وأهم المسائل المتعلقة بهم:
- العنصر الخامس أساليب الشياطين وطرق الوقاية من شرهم:

أهداف الدرس الأول: المراد بالإيمان بالملائكة، وحكمه، وصفاتهم، وأعمالهم، وأدلة ذلك

- تحديد المراد بالإيمان بالملائكة
- يستخرج حكم الإيمان بالملائكة
- يعدد صفات الملائكة
- يميز بين أعمال الملائكة ويستدل لذلك
- يوضح بالتفصيل ثمرات الإيمان بالملائكة
- أن يوضح المراد بالجن وأهم المسائل المتعلقة بهم
- أن يبين طرق الوقاية من شر الجن والشياطين

العنصر الأول: المراد بالإيمان بالملائكة وحكمه:

الملائكة جمع: ملأك، وأصل ملأك: مألك، لأنه من الألوكة، والألوكة في اللغة الرسالة.

الملائكة عالم غيبي خلقهم الله عز وجل من نور، وجعلهم طائعين له متذللين له [١]

لفظ "الملك" يشعر بأنه رسول منفذ لأمر مرسله، فليس لهم من الأمر شيء، بل الأمر كله لله الواحد القهار [٢].

والمراد بالإيمان بالملائكة: هو الإيمان بهم إجمالا وتفصيلا، فيؤمن المسلم بأن لله ملائكة خلقهم لطاعته، ووصفهم بأنهم عباد مكرمون، لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾ (الأنبياء:٢٨) (٣)

حكم الإيمان بالملائكة

الإيمان بالملائكة أحد أركان الإيمان الستة. **وقد دل على ذلك القرآن والسنة** قال الله تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾ [٤] وقال الله تعالى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾ [٥]

فجعل الله سبحانه وتعالى الإيمان هو الإيمان بهذه الجملة، وسمى من آمن بهذه الجملة مؤمنين، كما جعل الكافرين من كفر بهذه الجملة، بقوله: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [٦][٧]

والقرآن مملوء بذكر الملائكة وأصنافهم ومراتبهم، فتارة يقرن الله تعالى: اسمه باسمهم، وصلاته بصلاتهم، ويضيفهم إليه في مواضع التشريف، وتارة يذكر حفهم بالعرش وحملهم له، ومراتبهم من الدنو، وتارة يصفهم بالإكرام والكرم، والتقريب والعلو والطهارة والقوة والإخلاص [٨]

---

(١)شرح العقيدة الواسطية للعثيمين (١/ ٥٩)

(٢)شرح الطحاوية (ص: ٢٧٩)

(٣)العقيدة الصحيحة وما يضادها، لابن باز (ص: ٨)

(٤) البقرة: ١٧٧.

(٥)البقرة: ٢٨٥

(٦)النساء: ١٣٦

(٧)شرح الطحاوية (ص: ٢٧٦)

(٨)شرح الطحاوية (ص: ٢٨٠)

وأما من السنة: ففي حديث أبي هريرة: قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم بارزا يوما للناس، فأتاه جبريل فقال: ما الإيمان؟ قال: «الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته، وكتبه، وبلقائه، ورسله وتؤمن بالبعث» [(١)].

المنكرون للملائكة

لقد سلك الفلاسفة وبعض أهل البدع مسلك الإنكار للملائكة، بناء على أن الأمر عندهم مبني على الحس والمشاهدة والتجربة، وأعظم الناس لها إنكارا الفلاسفة، فإن حقيقة قولهم: إنهم لم يؤمنوا بالله ولا رسله ولا كتبه ولا ملائكته ولا باليوم الآخر [(٢)].

زمن خلق الملائكة

لم يأت في القرآن ولا في السنة تحديدا للزمن الذي خُلقت فيه الملائكة [(٣)]، وهذه الأمور لا يجوز الخوض فيها بغير دليل.

الحكمة من خلقهم:

من أبرز الحكم لخلق الملائكة عبادة الله تعالى وحده، وبعض الملائكة أعمالهم التسبيح والتحميد لله تعالى [(٤)]

أعداد الملائكة:

لا يعرف للملائكة عدد، بل عددهم لا يحصيه إلا الله تعالى، وفي الصحيح: «فرفع لي البيت المعمور، فسألت جبريل، فقال: هذا البيت المعمور يصلي فيه كل يوم سبعون ألف ملك، إذا خرجوا لم يعودوا إليه آخر ما عليهم» [(٥)]

صفات الملائكة

الملائكة من الأعيان لا من الأعراض فهي من المخلوقات باتفاق المسلمين، وليس بين أهل الملل خلاف في أن الملائكة جميعهم مخلوقون [(٦)]

ومعنى أنهم أعيان هو ما وضحه ابن حزم بقوله: قال بعض السخفاء: إن الملائكة بمنزلة الهواء والرياح. وهذا كذب وقحة وجنون؛ لأن الملائكة بنص القرآن والسنن وإجماع جميع من يقر بالملائكة من أهل

---

(١) متفق عليه.

(٢)شرح الطحاوية (ص: ٢٧٦)

(٣) معتقد فرق المسلمين ن واليهود والنصارى والفلاسفة والوثنيين في الملائكة المقربين، د محمد بن عبد الوهاب العقيل، ص٢٦

(٤) المرجع السابق ص٢٧

(٥) متفق عليه.

(٦)بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية (ص: ٢٣٢)

الأديان المختلفة عقلاء متعبدون منهيون مأمورون وليس كذلك الهواء والرياح لأنها لا تعقل ولا هي مكلفة متعبدة بل هي مسخرة مصرفة لا اختيار لها.(١)

تنقسم صفات الملائكة إلى قسمين:

أولا: صفات خَلْقية.

١-مادة خلق الملائكة: خلقت الملائكة من نور فقد ثبت في الصحيح؛ عن عائشة رضي الله عنها وعن أبيها: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: لقد خلقت الملائكة من نور، وخلق الجان من مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكم (٢).

والصفات الخَلْقية لها أشكال جاءت بها الأدلة الشرعية، فمنها:

١-أن لهم أجنحة، قال الله تعالى: ﴿جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾ (٣)

٢-أنهم ذوو أشكال حسنة قال الله تعالى: ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى (٥) ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى (٦)﴾ (٤)، قال ابن عباس رضي الله عنهما: ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى (٦)﴾ أي: ذو خَلْق حسن (٥).

٣- أنهم لا يأكلون ولا يشربون ﴿فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ﴾ (٦)

والقرآن مملوء بذكر الملائكة وأصنافهم ومراتبهم، فتارة يقرن الله تعالى اسمه باسمهم، وصلاته بصلاتهم، ويضيفهم إليه في مواضع التشريف، وتارة يذكر حفهم بالعرش وحملهم له، وبراءتهم من الدنو، وتارة يصفهم بالإكرام والكرم، والتقريب والعلو والطهارة والقوة والإخلاص (٧)

ثانيا: الصفات الخُلُقية.

وصف الله الملائكة بأنهم كرام بررة فقال سبحانه: ﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾ (٨)، وفي الحديث: «مثل الذي يقرأ القرآن، وهو حافظ له مع السفرة الكرام البررة، ومثل الذي يقرأ، وهو يتعاهده، وهو عليه شديد فله أجران» (٩)

---

(١)الفصل في الملل والأهواء والنحل (٥/ ١٧)

(٢) أخرجه مسلم

(٣)فاطر: ١

(٤)النجم: ٥، ٦

(٥)تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر (٢٢/ ٤٩٩)

(٦)هود: ٧٠.

(٧)شرح الطحاوية (ص: ٢٨٠)

(٨)عبس: ١٥-١٦؛

(٩) متفق عليه.

ومن صفاتهم: الحياء ففي الحديث: «ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة» (١)

والملائكة تستغفر لأهل الأرض وترجوا لهم الرحمة قال الله تعالى: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ (٢)

العنصر الثاني: أعمال الملائكة:

الملائكة جنود الله عز وجل، وكل منهم موكل بشيء؛ منهم الموكل بالأرحام، ومنهم الموكل بالنفوس يقبضها، ومنهم الموكل بالأعمال يكتبها، ومنهم الموكل بالأبدان يحفظها، وظائف عظيمة للملائكة، أمرهم الله عز وجل بها (٣).

وقال ابن القيم:

والملائكة الموكلة بالإنسان من حين كونه نطفة إلى آخر أمره لهم وله شأن آخر فإنهم موكلون بتخليقه، ونقله من طور إلى طور، وتصويره، وحفظه في أطباق الظلمات الثلاث، وكتابة رزقه، وعمله، وأجله، وشقاوته، وسعادته، وملازمته في جميع أحواله، وإحصاء أقواله وأفعاله، وحفظه في حياته، وقبض روحه عند وفاته، وعرضها على خالقه وفاطره. وهم الموكلون بعذابه ونعيمه في البرزخ، وبعد البعث. وهم الموكلون بعمل آلات النعيم والعذاب. وهم المثبتون للعبد المؤمن بإذن الله، والمعلمون له ما ينفعه، والمقاتلون الذابون عنه، وهم أولياؤه في الدنيا والآخرة، وهم الذين يرونه في منامه ما يخافه ليحذره، وما يحبه ليقوى قلبه، ويزداد شكرا، وهم الذين يعدونه بالخير ويدعونه إليه، وينهونه عن الشر، ويحذرونه منه. فهم أولياؤه وأنصاره، وحفظته، ومعلموه، وناصحوه، والداعون له، والمستغفرون له، وهم الذين يصلون عليه مادام في طاعة ربه، ويصلون عليه مادام يعلم الناس الخير، ويبشرونه بكرامة الله تعالى في منامه، وعند موته، ويوم بعثه. وهم الذين يزهدونه في الدنيا، ويرغبونه في الآخرة. وهم الذين يذكرونه إذا نسى. وينشطونه إذا كسل، ويثبتونه إذا جزع. وهم الذين يسعون في مصالح دنياه وآخرته

وأعمالهم كما دلت عليها الأدلة الشرعية كالتالي:

١ - النزول بالوحي، وهو جبريل عليه السلام، ينزل به من الله تعالى إلى الرسل، قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٩٢) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ (٤)

---

(١) أخرجه مسلم.

(٢)الشورى: ٥

(٣)شرح رياض الصالحين (٣/ ٢٩٠)

(٤)الشعراء: ١٩٢، ١٩٣

٢- الموكل بنفخ الصور، وهو إسرافيل عليه السلام، ففي حديث أبي هريرة رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «إن طرف صاحب الصور من وكل به مستعد ينظر نحو العرش مخافة أن يؤمر قبل أن يرتد إليه طرفه كأن عينيه كوكبان دريان» [١].

ففي هذا الحديث دلالة واضحة على أن النافخ في الصور واحد ولم يذكر باسمه، إلا أن المشهور عند العلماء أن النافخ في الصور هو إسرافيل عليه السلام. قال ابن حجر: ((اشتهر أن صاحب الصور إسرافيل عليه السلام)) [٢]

قال ابن كثير: ((والصحيح أن المراد بالصور القرن الذي ينفخ فيه إسرافيل عليه السلام)) [٣]

٣- الموكل بالقطر وتصاريفه إلى حيث أمره الله عز وجل، وهو ميكائيل عليه السلام، وهو ذو مكانة علية ومنزلة رفيعة وشرف عند ربه عز وجل، وله أعوان يفعلون ما يأمرهم به بأمر ربه، ويصرفون الرياح والسحاب كما يشاء الله عز وجل. وقد جاء في بعض الآثار: ما من قطرة تنزل من السماء إلا ومعها ملك يقررها في موضعها من الأرض، وفي حديث ابن عباس عند الطبراني أنه صلى الله عليه وسلم قال لجبريل: "على أي شيء ميكائيل "؟ قال: على النبات والقطر [٤]

وهؤلاء الثلاثة من الملائكة هم الذين ذكرهم النبي -صلى الله عليه وسلم- في دعائه من صلاة الليل قائلاً: «اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك أنت تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم» [٥]

٤- الموكل بقبض الأرواح وهو ملك الموت وأعوانه، وقد جاء في بعض الآثار تسميته عزرائيل٣, قال الله تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ [٦] وقال تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ﴾ [٧].

---

(١)رواه الحاكم في المستدرك ٤/ ٥٥٩. وقال هذا الحديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(٢)) فتح الباري ١١/ ٣٦٨.

(٣)تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢/ ٢٣٤.

(٤) أخرجه الطبراني:١١/ ٣٧٩، وأبي الشيخ الأصبهاني (٢/ ٧٠١)

قال الهيثمي: رواه الطبراني وفيه محمد بن أبي ليلى، وقد وثقه جماعة، ولكنه سيئ الحفظ. وبقية رجاله ثقات. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (٩/ ١٩)

(٥) حسن. أخرجه أبو داود.

(٦)السجدة: ١١

(٧)الأنعام: ٦١

٥- الموكلون بحفظ العبد في حله وارتحاله وفي نومه ويقظته وفي كل حالاته، وهم المعقبات، قال الله تعالى: ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ (١)

وقد جاءت الآيات القرآنية والأحاديث تذكر بعضا مما تقوم به الملائكة في الخلق، فمن ذلك:

الاستغفار للمؤمنين

قال تعالى: (تكاد السَّماوات يتفطَّرن من فوقهنَّ والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الأرض ألا إنَّ الله هو الغفور الرَّحيم) (٢).

ومن أعمالهم: **حراسة بني آدم**، قال تعالى: (سواءٌ منكم مَّن أسرَّ القول ومن جهر به ومن هو مستخف باللَّيل وسارب بالنَّهار - له مُعقِّبَاتٌ من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله) (٣).

ومنهم خزنة الجنة. قال تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ (٤).

ومن أعمالهم: **حفظ أعمال بني آدم**، قال تعالى: (وإنَّ عليكم لحافظين - كراماً كاتبين - يعلمون ما تفعلون) (٥).

ومنهم خزنة النار، وهم الزبانية ورؤساؤهم تسعة عشر. قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ﴾ (٦).

ومنهم حملة العرش قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ (٧)، وقال تعالى: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾ (٨).

ومنهم الموكلون بفتنة القبر وسؤال العباد في قبورهم وهما: مُنْكَر ونَكِير. وفي الحديث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إِنَّ العَبْدَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ وَتَوَلَّى عَنْهُ أَصْحَابُهُ، وَإِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ، أَتَاهُ مَلَكَانِ فَيُقْعِدَانِهِ، فَيَقُولاَنِ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ لِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَمَّا المُؤْمِنُ، فَيَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، فَيُقَالُ لَهُ: انْظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنَ النَّارِ قَدْ أَبْدَلَكَ اللَّهُ بِهِ مَقْعَدًا مِنَ

---

(١) الرعد: ١١

(٢) الرعد: ١٠-١١.

(٣) الشورى: ٥.

(٤) الزمر: ٧٣.

(٥) الانفطار: ١٠-١٢.

(٦) غافر: ٤٩.

(٧) غافر: ٧.

(٨) الحاقة: ١٧.

الجَنَّةِ، فَيَرَاهُمَا جَمِيعًا – قَالَ قَتَادَةُ: وَذُكِرَ لَنَا: أَنَّهُ يُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى حَدِيثِ أَنَسٍ – قَالَ: وَأَمَّا المُنَافِقُ وَالكَافِرُ فَيُقَالُ لَهُ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَيَقُولُ: لاَ أَدْرِي كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ النَّاسُ، فَيُقَالُ: لاَ دَرَيْتَ وَلاَ تَلَيْتَ، وَيُضْرَبُ بِمَطَارِقَ مِنْ حَدِيدٍ ضَرْبَةً، فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ غَيْرَ الثَّقَلَيْنِ "(١).

ومنهم الملك الموكل بالرحم، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَكَّلَ بِالرَّحِمِ مَلَكًا، يَقُولُ: يَا رَبِّ نُطْفَةٌ، يَا رَبِّ عَلَقَةٌ، يَا رَبِّ مُضْغَةٌ، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَقْضِيَ خَلْقَهُ قَالَ: أَذَكَرٌ أَمْ أُنْثَى، شَقِيٌّ أَمْ سَعِيدٌ، فَمَا الرِّزْقُ وَالأَجَلُ، فَيُكْتَبُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ "(٢).

ومنهم الموكل بالجبال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأمنا عائشة رضي الله عنها: " لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ مَا لَقِيتُ، وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ العَقَبَةِ، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلاَلٍ، فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي، فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ، فَنَادَانِي فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ، فَنَادَانِي مَلَكُ الجِبَالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، فَقَالَ، ذَلِكَ فِيمَا شِئْتَ، إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الأَخْشَبَيْنِ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلاَبِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ، لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا "(٣).

قال شيخ الإسلام: (وملائكة الله لا يحصي عددهم إلا الله كما قال تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ﴾(٤)

والملائكة رسل الله في تنفيذ أمره الكوني الذي يُدبِّر به السموات والأرض، كما قال تعالى: ﴿ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴾(٥)، وقال تعالى: ﴿بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾(٦)، وأمره الديني الذي تنزل به الملائكة فإنه قال: ﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ

(١) أخرجه البخاري، برقم (١٣٧٤).
(٢) أخرجه البخاري، برقم (٣١٨).
٣) أخرجه البخاري، برقم (٣٢٣١).
(٤)المدثر: ٣١
(٥)الأنعام: ٦١.
(٦)الزخرف: ٨٠

عِبَادِهِ﴾ [١]، وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾[٢] [٣]

العنصر الثالث: ثمرات الإيمان بالملائكة:

قال ابن عثيمين: الإيمان بالملائكة يثمر ثمرات جليلة منها:

الأولى: العلم بعظمة الله تعالى، وقوته، وسلطانه، فإن عظمة المخلوق من عظمة الخالق.

الثانية: شكر الله تعالى على عنايته ببني آدم، حيث وكل من هؤلاء الملائكة من يقوم بحفظهم، وكتابة أعمالهم، وغير ذلك من مصالحهم.

الثالثة: محبة الملائكة على ما قاموا به من عبادة الله تعالى [٤]

ويمكن أن نضيف لذلك أيضا:

الإيمان بهم يدفع إلى الاستقامة والحياء من الحفظة والكاتبين والمراقبين.

الأمن والطمأنينة للمؤمنين عند تثبيت الله لهم بالملائكة.

محبة الملائكة على ما قاموا به من عبادات على الوجه الأكمل واستغفارهم للمؤمنين.

---

(١)النحل: ٢

(٢)الشورى: ٥١

(٣)مجموع الفتاوى (٤/ ١١٩) بتصرف ومجلة البحوث الإسلامية (٧/ ١٤٥و ٣٥/ ١٧

(٤)شرح ثلاثة الأصول للعثيمين (ص: ٩٢)

الدرس الثاني: المراد بالجن وأهم المسائل المتعلقة بهم وطرق الوقاية من شرهم

عناصر الدرس الثاني: المراد بالجن وأهم المسائل المتعلقة بهم وطرق الوقاية من شرهم

- العنصر الأول: المراد بالجن وأهم المسائل المتعلقة بهم:
- العنصر الثاني: أساليب الشياطين في الإضلال:
- العنصر الثالث: طرق الوقاية من شرهم:

أهداف الدرس الثاني: المراد بالجن وأهم المسائل المتعلقة بهم وطرق الوقاية من شرهم

- أن يوضح المراد بالجن وأهم المسائل المتعلقة بهم
- أن يبين أساليب الشياطين والجن في الإضلال والشر
- أن يعرف طرق الوقاية من شر الجن والشياطين

العنصر الأول: المراد بالجن وأهم المسائل المتعلقة بهم:

من هم الجن؟

الجن عالم غير عالم الإنسان وعالم الملائكة، بينهم وبين الإنسان قدر مشترك من حيث الاتصاف بصفة العقل والإدراك، ومن حيث القدرة على اختيار طريق الخير والشر، ويخالفون الإنسان في أمور أهمها أن أصل الجان مخالف لأصل الإنسان(١).

وسموا جنّاً لاجتنانهم، أي: استتارهم عن العيون، قال ابن عقيل: " إنما سمّي الجن جنّاً لاجتنانهم واستتارهم عن العيون، ومنه سمي الجنين جنيناً، وسمّي المجنّ مجناً لستره للمقاتل في الحرب "(٢).

وجاء في محكم التنزيل: (إنَّه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم) [الأعراف: ٢٧] .

أصلهم الذي منه خلقوا(٣):

أخبرنا الله - جلّ وعلا - أن الجنّ قد خُلقوا من النار في قوله: (وَالْجَآنَّ خلقناه من قبل من نَّار السَّموم) [الحجر: ٢٧] ، وفي سورة الرحمن: (وخلق الجانَّ من مَّارجٍ من نَّارٍ) [الرحمن: ١٥] . وقد قال ابن عباس، وعكرمة، ومجاهد، والحسن وغير واحد في قوله: (مَّارجٍ من نَّارٍ) : طرف اللهب، وفي رواية: من خالصه وأحسنه(٤). وقال النووي في شرحه على مسلم: "المارج: اللهب المختلط بسواد النار"(٥).

وفي الحديث الذي أخرجه مسلم عن عائشة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (خلقتْ الملائكة من نور، وخلق الجان من مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكم)(٦).

ابتداء خلقهم(٧):

لا شك أن خلق الجن متقدم على خلق الإنسان؛ لقوله تعالى: (ولقد خلقنا الإنسان من صلصالٍ من حَمَإٍ مَّسنونٍ - والجآنَّ خلقناه من قبل من نَّار السَّموم) [الحجر: ٢٦-٢٧] ، فقد نصّ في الآية أن الجان مخلوق قبل الإنسان. ويرى بعض السابقين أنهم خلقوا قبل الإنسان بألفي عام، وهذا لا دليل عليه من كتاب ولا سنّة.

صفة خلقة الجن(١):

---

(١) عالم الجن والشياطين – عمر بن سليمان بن عبد الله الأشقر العتيبي (مكتبة الفلاح، الكويت الطبعة: الرابعة، ١٤٠٤ هـ – ١٩٨٤ م) ص: ١١.

(٢) آكام المرجان في أحكام الجان: ص٧.

(٣) انظر: عالم الجن والشياطين. ص: ١١.

(٤) البداية والنهاية: ٥٩/١.

(٥) شرح النووي على مسلم: ١٢٣/١٨.

(٦) صحيح مسلم: ٢٢٩٤/٤. ورقمه: ٢٩٩٦.

(٧) انظر: عالم الجن والشياطين. ص: ١٢.

نحن لا نعرف من خلقتهم وصورهم وحواسهم إلا ما عرفنا الله منها، فنعلم أن لهم قلوباً قال تعالى: (ولقد ذرأنا لجهنَّم كثيراً من الجن والإنس لهم قلوبٌ لا يفقهون بها ولهم أعينٌ لا يبصرون بها ولهم آذانٌ لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضلُّ) [الأعراف: ١٧٩] .

فقد صرح - تبارك وتعالى - بأن للجن قلوباً، وأعيناً وآذاناً، وللشيطان صوتاً، لقوله تعالى: (واستفزز من استطعت منهم بصوتك) [الإسراء: ٦٤] . وثبت في الأحاديث أن للشيطان لساناً، وأن الجان يأكلون، ويشربون، ويضحكون، وغير ذلك مما تجده مبثوثاً في هذا الكتاب.

أسماء الجن في لغة العرب وأصنافهم[٢]:

قال ابن عبد البر: " الجن عند أهل الكلام والعلم باللسان على مراتب:

١- فإذا ذكروا الجن خالصاً قالوا: جنّي.

٢- فإذا أرادوا أنه مما يسكن مع الناس، قالوا: عامر، والجمع: عمّار.

٣- فإن كان مما يعرض للصبيان قالوا: أرواح.

٤- فإن خبث وتعرض، قالوا: شيطان.

٥- فإن زاد على ذلك، فهو مارد.

٦- فإن زاد على ذلك وقوي أمره، قالوا: عفريت، والجمع: عفاريت "[٣].

وأخبرنا الرسول صلى الله عليه وسلم أنّ (الجن ثلاثة أصناف: فصنف يطير في الهواء، وصنف حيّات وكلاب، وصنف يحلون ويظعنون) . رواه الطبراني، والحاكم، والبيهقي في الأسماء والصفات، بإسناد صحيح[٤].

إثبات وجود الجن[٥]:

أنكرت قلة من الناس وجود الجنّ إنكاراً كلياً، وزعم بعض المشركين: أن المراد بالجن أرواح الكواكب[٦].

وزعمت طائفة من الفلاسفة: أن المراد بالجن نوازع الشر في النفس الإنسانية وقواها الخبيثة، كما أن المراد بالملائكة نوازع الخير فيها[٧].

---

(١) انظر: عالم الجن والشياطين. ص: ١٢.
(٢) انظر: عالم الجن والشياطين. ص: ١٢.
(٣)آكام المرجان: ٨.
(٤)صحيح الجامع: ٨٥/٣.
(٥) انظر: عالم الجن والشياطين. ص: ١٢، ١٣.
(٦)مجموع الفتاوى: ٢٨٠/٢٤.
(٧)مجموع الفتاوى: ٣٤٦/٤.

وزعم فريق من المحْدَثين (بفتح الدال المخففة) : أن الجن هم الجراثيم والميكروبات التي كشف عنها العلم الحديث.

وقد ذهب الدكتور محمد البهي إلى: أن المراد بالجن الملائكة، فالجن والملائكة عنده عالم واحد لا فرق بينهما، ومما استدل به: أن الملائكة مستترون عن الناس، إلا أنه أدخل في الجن من يتخفى من عالم الإنسان في إيمانه وكفره، وخيره وشره(١).

عدم العلم ليس دليلاً(٢):

وغاية ما عند هؤلاء المكذبين أنه لا علم عندهم بوجودهم، وعدم العلم ليس دليلاً(٣)، وقبيح بالعاقل أن ينفي الشيء لعدم علمه بوجوده، وهذا مما نعاه الله على الكفرة: (بل كذَّبوا بما لم يحيطوا بعلمه) [يونس: ٣٩] . وهذه المخترعات الحديثة التي لا يستطيع أحد أن يكابر فيها، أكان يجوز لإنسان عاش منذ مئات السنين أن ينكر إمكان حصولها لو أخبره صادق بذلك؟ وهل عدم سماعنا للأصوات التي يعج بها الكون في كل مكان دليل على عدم وجودها، حتى إذا اخترعنا (الراديو) ، واستطاع التقاط ما لا نسمع بآذاننا صدقنا بذلك؟!

والقول الحق أن الجن عالم ثالث غير الملائكة والبشر، وأنهم مخلوقات عاقلة واعية مدركة، ليسوا بأعراض ولا جراثيم، وأنهم مكلفون مأمورون منهيون.

الأدلة الدالة على وجود الجن(٤):

١- وجودهم معلوم من الدين بالضرورة:

يقول ابن تيمية(٥): "لم يخالف أحد من طوائف المسلمين في وجود الجن، ولا في أن الله أرسل محمداً صلى الله عليه وسلم إليهم، وجمهور طوائف الكفار على إثبات الجن. أمّا أهل الكتاب من اليهود والنصارى، فهم مقرّون بهم كإقرار المسلمين، وإن وجد فيهم من ينكر ذلك، كما يوجد في المسلمين من ينكر ذلك ... كالجهمية والمعتزلة، وإن كان جمهور الطائفة وأئمتها مقرّين بذلك.

وهذا لأن وجود الجن تواترت به أخبار الأنبياء تواتراً معلوماً بالضرورة، ومعلوم بالضرورة أنهم أحياء عقلاء فاعلون بالإرادة، بل مأمورون منهيون، ليسوا صفات وأعراضاً قائمة بالإنسان أو غيره، كما يزعمه بعض

(١)تفسير سورة الجن: ص ٨.

(٢) انظر: عالم الجن والشياطين. ص: ١٣.

(٣)ليس لهم أن يحتجوا بما ثبت في صحيح البخاري عن ابن عباس أنه كان ينكر مخاطبة الرسول صلى الله عليه وسلم للجن وتكليمهم له، فإن إنكاره هنا للمشافهة لا للجن، ومع ذلك فغير ابن عباس كابن مسعود - يثبت مشافهة الرسول صلى الله عليه وسلم لهم. ومن حفظ حجة على من لم يحفظ.

(٤)انظر: عالم الجن والشياطين (ص: ١٤)

(٥) مجموع الفتاوى: ١٠/١٩.

الملاحدة، فلما كان أمر الجن متواتراً عن الأنبياء تواتراً تعرفه العامة والخاصة، فلا يمكن لطائفة من المنتسبين إلى الرسل الكرام أن تنكرهم ".

وقال أيضاً: " جميع طوائف المسلمين يقرون بوجود الجن، وكذلك جمهور الكفار كعامة أهل الكتاب، وكذلك عامة مشركي العرب وغيرهم من أولاد حام، وكذلك جمهور الكنعانيين واليونان من أولاد يافث، فجماهير الطوائف تقرّ بوجود الجن "(١).

وذكر إمام الحرمين: " أن العلماء أجمعوا في عصر الصحابة والتابعين على وجود الجن والشياطين، والاستعاذة بالله تعالى من شرورهم، ولا يراغم هذا الاتفاق متدين متشبث بمسكة من الدين "(٢).

٢- النصوص القرآنية والحديثية:

جاءَت نصوص كثيرة تقرر وجودهم كقوله تعالى: (قل أوحي إليَّ أنَّه استمع نفرٌ من الجن) [الجن: ١] ، وقوله: (وأنَّه كان رجالٌ من الإنس يعوذون برجالٍ من الجن فزادوهم رهقاً) [الجن: ٦] . وهي نصوص كثيرة ذكرنا غالبها في ثنايا هذه الرسالة، وإن كانت كثرتها وشهرتها تغني عن ذكرها.

الجن مكلفون(٣):

خلق الله الجن للغاية نفسها التي خلق الإنس من أجلها: (وما خلقت الجنَّ والإنس إلاَّ ليعبدون) [الذاريات: ٥٦] .

فالجن على ذلك مكلفون بأوامر ونواهٍ، فمن أطاع رضي الله عنه، وأدخله الجنة، ومن عصى وتمرد، فله النار، يدلّ على ذلك نصوص كثيرة.

ففي يوم القيامة يقول الله مخاطباً كفرة الجن والإنس موبخاً مبكتاً: (يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسلٌ منكم يقصُّون عليكم آيَاتِي وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا شهدنا على أنفسنا وغرَّتهم الحياة الدُّنيا وشهدوا على أنفسهم أنَّهم كانوا كافرين) [الأنعام: ١٣٠] .

ففي هذه الآيات دليل على بلوغ شرع الله الجن، وأنه قد جاءهم من ينذرهم ويبلغهم.

والدليل على أنهم سيعذبون في النار قوله تعالى: (قال ادخلوا في أممٍ قد خلت من قبلكم من الجن والإنس في النَّار) [الأعراف: ٣٨] ، وقال: (ولقد ذرأنا لجهنَّم كثيراً من الجن والإنس) [الأعراف: ١٧٩] ، وقال: (لأملأنَّ جهنَّم من الجنَّة والنَّاس أجمعين) [السجدة: ١٣] . والدليل على أن المؤمنين من الجن يدخلون الجنة قوله تعالى: (ولمن خاف مقام ربه جنَّتان - فَبِأَيِّ آلاء ربكما تكذبان) [الرحمن: ٤٦-٤٧] . والخطاب هنا للجن والإنس؛ لأن الحديث في مطلع السورة معهما.

---

(١) مجموع الفتاوى ١٣/١٩.

(٢) آكام المرجان: ص ٤.

(٣)انظر: عالم الجن والشياطين (ص: ٤١)

العنصر الثاني: أساليب الشياطين في الإضلال:

أهداف الشيطان[١]:

الهدف البعيد: هناك هدف وحيد يسعى الشيطان لتحقيقه في نهاية الأمر، هو أن يلقي الإنسان في الجحيم، ويحرمه من الجنّة، (إنَّما يدعوا حزبه ليكونوا من أصحاب السَّعير) [فاطر: ٦] .

الأهداف القريبة: ذلك هو هدف الشيطان البعيد، أما أهدافه القريبة فإنها كثيرة منها:

١- إيقاع العباد في الشرك والكفر:

وذلك بدعوتهم إلى عبادة غير الله، والكفر بالله وبشريعته: (كمثل الشَّيطان إذ قال للإنس اكْفُرْ فلمَّا قال إني بريءٌ منك) [الحشر: ١٦] .

وروى مسلم في صحيحه عن عياض بن حمار أن النبي صلى الله عليه وسلم خطب ذات يوم، فقال في خطبته: (يا أيها الناس، إن الله أمرني أن أعلمكم ما جهلتهم مما علمني يومي هذا، كل مال نحلته عبداً حلال، وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين، فاجتالتهم عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً)[٢]

٢- إيقاعهم في الذنوب والمعاصي:

فإذا لم يستطع إيقاعهم في الشرك والكفر، فإنه لا ييأس، ويرضى بما دون ذلك من إيقاعهم في الذنوب والمعاصي، وغرس العداوة والبغضاء في صفوفهم، ففي سنن الترمذي: (ألا وإن الشيطان قد أيس أن يعبد في بلادكم هذه أبداً، ولكن ستكون له طاعة فيما تحتقرون من أعمالكم، فسيرضى به)[٣]

٣- إيقاعهم في البدعة:

(١) بتصرف من: عالم الجن والشياطين (ص: ٥٥-٥٨)

(٢) رواه مسلم: ٢١٩٧/٤. ورقمه: ٢٨٦٥.

(٣) صحيح سنن الترمذي: ٢٣٠/٢. ورقمه: ١٧٥٣.

وهي أحب إلى الشيطان من الفسوق والمعاصي؛ لأن ضررها في الدين، قال سفيان الثوري: " البدعة أحب إلى إبليس من المعصية؛ لأن المعصية يتاب منها، والبدعة لا يتاب منها"(١)

٤- صدّه العباد عن طاعة الله:

وهو لا يكتفي بدعوة الناس إلى الكفر والذنوب والمعاصي، بل يصدهم عن فعل الخير، فلا يترك سبيلاً من سبل الخير، يسلكه عبد من عباد الله إلا قعد فيه، يصدّهم ويميل بهم، فعن سبرة بن أبي فاكه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إن الشيطان قعد لابن آدم بأطرقه، فقعد له بطريق الإسلام، فقال: تسلم وتذر دينك ودين آبائك وآباء آبائك؟! فعصاه، فأسلم.

ثم قعد له بطريق الهجرة، فقال: تهاجر وتدع أرضك وسماءك؟ وإنما مثل المهاجر كمثل الفرس في الطول. فعصاه، فهاجر(٢). ثم قعد له بطريق الجهاد، فقال: تجاهد فهو جهد النفس والمال، فتقاتل فتقتل، فتنكح المرأة ويقسم المال؟! فعصاه، فجاهد.

فمن فعل ذلك، كان حقّا على الله أن يدخله الجنّة، ومن قتل، كان حقّاً على الله أن يدخله الجنّة،

وإن غرق، كان حقاً على الله أن يدخله الجنة، أو وقصته دابته، كان حقّاً على الله أن يدخله الجنة)(٣)

فالشيطان لا يدع سبيلاً من سبل الخير إلا قعد فيه يصد الناس عنه.

٥- إفساد الطاعات:

إذا لم يستطع الشيطان أن يصدهم عن الطاعات، فإنه يجتهد في إفساد العبادة والطاعة، كي يحرمهم الأجر والثواب، ومن ذلك أن الصحابي عثمان بن أبي العاص أتى إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: " إن الشيطان قد حال بيني وبين صلاتي وقراءتي، يَلبِسها عليّ ".

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ذلك شيطان يقال له: خِنْزب، فإذا أحسسته فتعوذ بالله منه، واتفل على يسارك ثلاثاً) . قال: ففعلت ذلك، فأذهبه الله عني "(١)

---

(١) غرائب وعجائب الجن، للشبلي: ص ٢٠٦.

(٢) الطول: الحبل الطويل، يشد أحد طرفيه في وتد أو غيره، والطرف الآخر في يد الفرس ليدور فيه، ويرعى ولا يذهب لوجهه.

(٣) صحيح سنن النسائي: ٦٥٧/٢. ورقمه: ٢٩٣٧.

فإذا دخل العبد صلاته أجلب عليه الشيطان يوسوس له، ويشغله عن طاعة الله، ويذكِره بأمور الدنيا؛ ففي صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إذا نودي للصلاة أدبر الشيطان وله ضراط، حتى لا يسمع التأذين، فإذا قضي النداء أقبل، حتى إذا ثوب بالصلاة أدبر، حتى يخطر بين المرء ونفسه، يقول اذكر كذا، اذكر كذا، لما لم يكن يذكر، حتى يظل الرجل لا يدري كم صلى)(٢)

أساليب الشيطان في إضلال الإنسان(٣):

لا يأتي الشيطان إلى الإنسان ويقول له: اترك هذه الأمور الخيرة، وافعل هذه الأمور السيئة؛ كي تشقى في دنياك وأخراك؛ لأنه لو فعل ذلك فلن يطيعه أحد، ولكنه يسلك سبلاً كثيرة، يغرر بها بعباد الله.

١- تزيين الباطل:

هذا هو السبيل الذي كان الشيطان، ولا يزال، يسلكه لإضلال العباد، فهو يظهر الباطل في صورة الحق، والحق في صورة الباطل، ولا يزال بالإنسان يحسن له الباطل، ويكرهه بالحق، حتى يندفع إلى فعل المنكرات، ويعرض عن الحق، كما قال اللعين لربّ العزة: (قال رب بما أغويتني لأزينَّ لهم في الأرض ولأغوينَّهم أجمعين - إلاَّ عبادك منهم المخلصين) [الحجر: ٣٩-٤٠] .

٢- الإفراط والتفريط:

يقول ابن القيم في هذه المسألة: " وما أمر الله - عزّ وجلّ - بأمر إلا وللشيطان فيه نزعتان: إما تقصير وتفريط، وإما إفراط وغلوّ، فلا يبالي بما ظفر من العبد من الخطيئتين، فإنّه يأتي إلى قلب العبد فيشامّه، فإن وجد فيه فتوراً وتوانياً وترخيصاً أخذه من هذه الخطة، فثبطه وأقعده، وضربه بالكسل والتواني والفتور، وفتح له باب التأويلات والرجاء وغير ذلك، حتى ربما ترك العبد المأمورَ جملة(٤)

٣- تثبيطه العباد عن العمل ورميهم بالتسويف والكسل:

---

(١) رواه مسلم: ١٧٢٨/٤. ورقمه: ٢٢٠٣.

(٢) رواه البخاري: ٨٤/٢. ورقمه: ٦٠٨. وانظر رقم: ١٢٢٢، ١٢٣١، ١٢٣٢. ورواه مسلم: ٢٩١/١. ورقمه: ٣٨٩.

(٣) بتصرف من: عالم الجن والشياطين (ص: ٦٨-٨٦)

(٤) الوابل الصيب: ص١٩.

وله في ذلك أساليب وطرق، ففي صحيح البخاري عن أبي هريرة: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم (القافية: مؤخر الرأس) ، إذا هو نام ثلاث عقد، يضرب مكان كل عقدة، عليك ليل طويل فارقد، فإن استيقظ فذكر الله، انحلت عقدة، فإن توضأ، انحلت عقدة، فإن صلى، انحلت عقدة، فأصبح نشيطاً طيب النفس، وإلا أصبح خبيث النفس كسلان)[(١)].

٤- الوعد والتمنية:

وهو يعد الناس بالمواعيد الكاذبة، ويعللهم بالأماني المعسولة؛ كي يوقعهم في وهدة الضلال: (يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشَّيطان إلاَّ غروراً) [النساء: ١٢٠] .

٥- إظهار النصح للإنسان:

يدعو الشيطان المرء إلى المعصية، يزعم أنه ينصح له ويريد خيره، وقد أقسم لأبينا على أنه ناصح له: (وقاسمهما إِنّي لكما لمن النَّاصحين) [الأعراف: ٢١] .

٦- التدرج في الإضلال:

يسير بالإنسان خطوة خطوة، لا يكل ولا يملّ، كلما روّضه على معصية ما، قاده إلى معصية أكبر منها، حتى يوصله إلى المعصية الكبرى، فيوبقه ويهلكه، وتلك سنة الله في عباده، أنهم إذا زاغوا سلط عليهم الشيطان، وأزاغ قلوبهم: (فلمَّا زاغوا أزاغ الله قلوبهم) [الصف: ٥] .

٧- إنساؤه العبد ما فيه خيره وصلاحه:

ومن ذلك ما فعله بآدم، فما زال يوسوس له حتى أنساه ما أمره به ربّه: (ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فَنَسِيَ ولم نجد له عزماً) [طه: ١١٥] ، وقال صاحب موسى لموسى: (فإني نسيت الحوت وما أَنسَانِيهُ إلاَّ الشَّيطان أن أذكره) [الكهف: ٦٣] .

٨- تخويف المؤمنين أولياءَه:

ومن وسائله أن يخوف المؤمنين من جنده وأوليائه، فلا يجاهدونهم، ولا يأمرونهم بالمعروف، ولا ينهونهم عن المنكر، وهذا من أعظم كيده بأهل الإيمان، وقد أخبرنا سبحانه عن هذا فقال: (إنَّما ذلكم الشَّيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مُّؤمنين) [آل عمران: ١٧٥] .

---

(١) رواه البخاري: ٣/٢٤. ورقمه: ١١٤٣.

والمعنى: يخوفكم بأوليائه، قال قتادة: " يعظمهم في صدوركم، ولهذا قال: (فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مُّؤمنين) ، فكلما قوي إيمان العبد زال من قلبه خوف أولياء الشيطان، وكلما ضعف إيمانه قوي خوفه منهم".

٩- دخوله إلى النفس من الباب الذي تحبه وتهواه:

يقول ابن القيم في هذا الموضوع: " إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم، حتى يصادف نفسه ويخالطها، ويسألها عمّا تحبه وتؤثره، فإذا عرفه استعان بها على العبد، ودخل عليه من هذا الباب، وكذلك عَلّم إخوانه وأولياءَه من الإنس، إذا أرادوا أغراضهم الفاسدة من بعضهم بعضاً أن يدخلوا عليهم من الباب الذي يحبونه ويهوونه، فإنّه باب لا يخذل عن حاجته من دخل منه، ومن رام الدخول من غيره، فالباب عليه مسدود، وهو عن طريق مقصده مصدود "(١).

١٠- لقاء الشبهات:

ومن أساليبه في إضلال العباد زعزعة العقيدة بما يلقيه من شكوك وشبهات، وقد حذرنا الرسول صلى الله عليه وسلم من بعض هذه الشبهات التي يلقيها، ففي حديث البخاري ومسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يأتي الشيطان أحدكم فيقول: من خلق كذا وكذا؟ من خلق كذا؟ حتى يقول: من خلق ربك؟ فإذا بلغه فليستعذ بالله ولِيَنْتهِ)(٢)

١١-١٤- الخمر والميسر والأنصاب والأزلام:

قال تعالى: (إنَّما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجسٌ من عمل الشَّيطان فاجتنبوه لعلَّكم تفلحون - إنَّما يريد الشَّيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدَّكم عن ذكر الله وعن الصَّلاة فهل أنتم مُّنتهون) [المائدة: ٩٠-٩١] .

والخمر: كل ما يسكر، والميسر: القمار، والأنصاب: كل ما نصب كي يعبد من دون الله، من حجر، أو شجر، أو وثن، أو قبر، أو علم. والأزلام: القداح كانوا يستقسمون بها الأمور؛ أي: يطلبون بها علم ما قسم لهم.

---

(١) إغاثة اللهفان: ١/١٣٢.

(٢) رواه البخاري: ٦/٣٣٦. ورقمه: ٣٢٧٧. ورواه مسلم: ١/١٢٠. ورقمه: ١٣٤.

فالشيطان يحض الناس على هذه الأربع؛ لأنها ضلال في نفسها، وتؤدي إلى نتائج وخيمة، وآثار سيئة، فالخمر تفقد شاربها عقله، فإذا فقد عقله فعل الموبقات، وارتكب المحرمات، وترك الطاعات، وآذى عباد الله.

١٥- السحر(١):

ومما يضل به الشيطان أبناء آدم السحر، فهم يعلمونهم هذا العلم، الذي يضر ولا ينفع، ويكون هذا العلم سبيلاً للتفريق بين المرء وزوجه، والتفريق بين الزوجين: يعدّه الشيطان من أعظم الأعمال التي يقوم بها جنوده.

قال تعالى: (وما كفر سليمان ولكنَّ الشَّياطين كفروا يعلمون النَّاس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من أحدٍ حتَّى يقولا إنَّما نحن فتنةٌ فلا تكفر فيتعلَّمون منهما ما يفرقُون به بين المرء وزوجه وما هم بضآرّين به من أحدٍ إلاَّ بإذن الله ويتعلَّمون ما يضرُّهم ولا ينفعهم ولقد علموا لمن اشتراه ما له في الآخرة من خلاقٍ ولبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون) [البقرة: ١٠٢] .

١٦- ضعف الإنسان:

في الإنسان نقاط ضعف كثيرة، هي في الحقيقة أمراض، والشيطان يعمق هذه الأمراض في نفس الإنسان، بل تصبح مداخله إلى النفس الإنسانية، ومن هذه الأمراض: الضعف، واليأس، والقنوط، والبطر، والفرح، والعجب، والفخر، والظلم، والبغي، والجحود، والكنود، والعجلة، والطيش، والسفه، والبخل، والشح، والحرص، والجدل، والمراء، والشك، والريبة، والجهل، والغفلة، واللدد في الخصومة، والغرور، والادعاء الكاذب، والهلع، والجزع، والمنع، والتمرد، والطغيان، وتجاوز الحدود، وحب المال، والافتتان بالدنيا.

فالإسلام يدعو إلى إصلاح النفس، والتخلص من أمراضها، وهذا يحتاج إلى جهد يبذل، كما يحتاج إلى صبر على مشقّات الطريق.

١٧- النساء وحب الدنيا:

وقد أخبرنا الرسول صلى الله عليه وسلم أنه ما ترك بعده فتنة أشد على الرجال من النساء، ولذلك أمرت المرأة بستر جسدها كله إلا الوجه والكفين، وأمر الرجال بغض أبصارهم، ونهى الرسول صلى الله عليه

(١) بسط القول في السحر في مؤلف مستقل أ. د. عمر الأشقر عنون له بعنوان: عالم السحر والشعوذة.

وسلم عن الخلوة بالمرأة، وأخبر أنّه ما خلا رجل بامرأة إلا كان الشيطان ثالثهما. وفي سنن الترمذي بإسناد صحيح: (المرأة عورة فإذا خرجت استشرفها الشيطان)(١) .

العنصر الثالث: طرق الوقاية من شرهم:

أسلحة المؤمن في حربه مع الشيطان:(٢)

أولاً: الحذر والحيطة:

هذا العدو الخبيث الماكر حريص على إضلال بني آدم، وقد علمنا أهدافه ووسائله في الإضلال، فبمقدار علمك بهذا العدو: أهدافه ووسائله والسبل التي يضلنا بها تكون نجاتنا منه، أما إذا كان الإنسان غافلاً عن هذه الأمور فإن عدوه يأسره ويوجهه الوجهة التي يريد.

ثانياً: الالتزام بالكتاب والسنّة:

أعظم سبيل للحماية من الشيطان هو الالتزام بالكتاب والسنة علماً وعملاً، فالكتاب والسنة جاءا بالصراط المستقيم، والشيطان يجاهد كي يخرجنا عن هذا الصراط قال تعالى: (وأَنَّ هذا صراطي مستقيماً فاتَّبعوه ولا تتَّبعوا السُّبل فتفرَّق بكم عن سبيله ذلكم وصَّاكم به لعلَّكم تتَّقون) [الأنعام: ١٥٣] .

وقد شرح الرسول صلى الله عليه وسلم هذه الآية فعن عبد الله بن مسعود قال: " خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطاً، ثمّ قال: (هذا سبيل الله) ثمّ خط خطوطاً عن يمينه وشماله وقال: (هذه سبل، على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه) وقرأ: (وأنَّ هذا صراطي مستقيماً فاتَّبعوه) [الأنعام: ١٥٣] . رواه الإمام أحمد والنسائي والدارمي(٣).

ثالثاً: الالتجاء إلى الله والاحتماء به:

خير سبيل للاحتماء من الشيطان وجنده هو الالتجاء إلى الله والاحتماء بجنابه، والاستعاذة به من الشيطان، فإنه عليه قادر. فإذا أجار عبده فأنى يخلص الشيطان إليه، قال تعالى: (خذ العفو وأمر

(١) صحيح مسلم: ١٦٧٢/٣. ورقمه: ٢١١٤.

(٢) بتصرف من: عالم الجن والشياطين (ص: ١٢٩– ١٥٠)

(٣) مشكاة المصابيح: ٥٨/١. ورقمه: ١٦٦. وقال محقق المشكاة: وإسناده حسن.

بالعرف وأعرض عن الجاهلين – وإمَّا ينزغنَّك من الشَّيطان نزغٌ فاستعذ بالله إنَّه سميع عليم) [الأعراف: ١٩٩-٢٠٠] .

وقد كان صلى الله عليه وسلم يكثر من الاستعاذة بربه من الشيطان بصيغ مختلفة، فكان يقول بعد دعاء الاستفتاح في الصلاة: (أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، من همزه ونفخه ونفثه) ، روى ذلك أصحاب السنن الأربعة وغيرهم عن أبي سعيد(١)

مواضع الاستعاذة:

١- الاستعاذة عند دخول الخلاء:

٢- الاستعاذة عند الغضب:

٣- الاستعاذة عند الجماع:

٤- الاستعاذة عند نزول وادٍ أو منزل:

٥- التعوذ بالله من الشيطان عند سماع نهيق الحمار:

٦- التعوذ حين قراءَة القرآن:

٧- تعويذ الأبناء والأهل:

رابعاً: الاشتغال بذكر الله:

ذكر الله من أعظم ما ينجي العبد من الشيطان، وفي الحديث: أن الله أمر نبي الله يحي أن يأمر بني إسرائيل بخمس خصال، ومن هذه: (وآمركم أن تذكروا الله تعالى، فإن مثل ذلك مثل رجل خرج العدّو في أثره سراعاً، حتى إذا أتى إلى حصن حصين، فأحرز نفسه منهم، كذلك العبد لا يحرز نفسه من الشيطان إلا بذكر الله) .

خامساً: لزوم جماعة المسلمين:

ومما يبعد المسلم عن الوقوع في أحابيل الشيطان أن يعيش في ديار الإسلام، ويختار لنفسه الفئة الصالحة التي تعينه على الحق، وتحضّه عليه، وتذكره بالخيرات، فإن في الاتحاد والتجمع قوة وأي قوة، عن ابن عمر

(١) حديث صحيح، انظر تخريجه، وكلام الشيخ ناصر الدين الألباني عليه في إرواء الغليل: ٢/٥١. ورقمه: ٣٤١.

قال: خطبنا عمر بالجابية، فقال: يا أيها الناس، إني قمت فيكم كمقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فينا، فكان مما قال: (عليكم بالجماعة، وإياكم والفرقة، فإن الشيطان مع الواحد، وهو من الاثنين أبعد..)(١).

سادساً: كشف مخططات الشيطان ومصائده(٢):

على المسلم أن يتعرف على سبله ووسائله في الإضلال، ويكشف ذلك للناس، وقد فعل ذلك القرآن، وقام بهذه المهمة الرسول صلى الله عليه وسلم خير قيام، فالقرآن عرفنا الأسلوب الذي أغوى الشيطان به آدم. والرسول صلى الله عليه وسلم كان يعرف الصحابة كيف يسترق الشيطان السمع، ويلقي بالكلمة التي سمع في أذن الكاهن أو الساحر ومعها مائة كذبة، يبين ذلك لهم كي لا ينخدعوا بأمثال هؤلاء، وبين لهم كيف يوسوس لهم ويشغلهم في صلاتهم وعبادتهم، وكيف يحاول الشيطان أن يوهمهم بأن وضوءهم قد فسد، والأمر ليس كذلك، وكيف يفرق بين المرء وزوجه، وكيف يوسوس للمرء، فيقول له: من خلق كذا؟ من خلق كذا؟ حتى يقول: من خلق ربك؟

سابعاً: مخالفة الشيطان:

يأتي الشيطان في صورة ناصح يحرص على الإنسان، فعلى المرء أن يخالف ما يأمر به، ويقول له: لو كنت ناصحاً أحداً لنصحت نفسك، فقد أوقعت نفسك في النار، وجلبت لها غضب الجبّار، فكيف ينصح غيره من لا ينصح نفسه.

يقول الحارث بن قيس: " إذا أتاك الشيطان وأنت تصلي، فقال: إنك ترائي فزدها طولاً "(٣)

ثامناً: التوبة والاستغفار:

---

(١) صحيح سنن الترمذي: ٢/٢٣٢. ورقمه: ١٧٥٨.

(٢) إذا رغبت في الوقوف على تفاصيل مخططات الشيطان ومكائده ومصائده، وكيف ألبس على الناس دينهم في العقائد والعبادات والمعاملات، وكيف تلاعب باليهود والنصارى والمجوس وعباد الأوثان – فلا غنى لك عن قراءة كتابين: الأول: تلبيس إبليس، لابن الجوزي، الثاني: إغاثة اللهفان، لابن القيم.

(٣) تلبيس إبليس: ٣٨.

ومما يواجه به العبد كيد الشيطان أن يسارع بالتوبة والأوبة إلى الله إذا أغواه الشيطان، وهذا دأب عباد الله الصالحين، قال تعالى: (إنَّ الَّذين اتَّقوا إذا مسَّهم طائفٌ من الشَّيطان تذكَّروا فإذا هم مُّبصرون) [الأعراف: ٢٠١] .

وقد فسر الطائف بالهمّ بالذنب، أو إصابة الذنب، وقوله: (تذكَّروا) أي عقاب الله وجزيل ثوابه، ووعده ووعيده، فتابوا، وأنابوا، واستعاذوا بالله، ورجعوا إليه من قريب. (فإذا هم مُّبصرون) أي قد استقاموا وصحوا

تاسعاً: أزل اللبس والغموض الذي يدخل الشيطان منه إلى النفوس:

لا تقف مواقف الشبهة، وإذا حدث ذلك فَوَضّحْ للناس حالك، حتى لا تدع للشيطان فرصة الوسوسة في صدور المسلمين، ولك أسوة في رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما عن صفية بنت حيي زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم معتكفاً، فأتيته أزوره ليلاً فحدثته، ثم قمت فانقلبت، فقام معي ليَقْلبني[١]، وكان مسكنها في دار أسامة بن زيد، فمرّ رجلان من الأنصار، فلمّا رأيا النبي صلى الله عليه وسلم أسرعا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (على رسلكما، إنها صفية بنت حيي) ، فقالا: سبحان الله، يا رسول الله!! قال: (إن الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم، وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما شراً) ، أو قال: (شيئاً)[٢].

قال الخطابي: "في هذا الحديث من العلم استحباب أن يحذر الإنسان من كل أمر من المكروه مما تجري به الظنون، ويخطر بالقلوب، وأن يطلب السلامة من الناس بإظهار البراءة من الريب".

(١) ليردني إلى منزلي.

(٢) صحيح البخاري: ٣٣٦/٦. ورواه مسلم: ١٧١٢/٤. ورقمه: ٢١٧٥. واللفظ لمسلم.

الدرس الثالث: المراد بالإيمان بالكتب وحكمه وأدلته

عناصر الدرس الثالث: المراد بالإيمان بالكتب وحكمه وأدلته

- العنصر الأول: الكتب السماوية:
- العنصر الثاني: المراد بالإيمان بالكتب:

أهداف الدرس الثالث: المراد بالإيمان بالكتب وحكمه وأدلته

- التعرف على الكتب الإلهية من خلال المراد بالإيمان بها
- تحديد حكم الإيمان بالكتب الإلهية.
- ذكر أدلة الإيمان بالكتب

العنصر الأول: الكتب السماوية:

الكتب في اللغة: جمع كتاب بمعنى مكتوب، ومادة (كتب) تدور حول الجمع والضم، وسمي الكاتب كاتباً؛ لأنه يجمع الحروف ويضم بعضها إلى بعض.

المراد بها هنا: الكتب التي أنزلها الله تعالى على رسله رحمة للخلق، وهداية لهم، ليصلُوا بها إلى سعادتهم في الدنيا والآخرة [١].

حكم الإيمان بالكتب

الإيمان بكتب الله عز وجل المنزلة على أنبيائه عليهم الصلاة والسلام ركن من أركان الإيمان، وأصل من أصوله التي ينبني عليها، فلا يصح إسلام عبدٍ ولا يثبت إيمانه؛ حتى يؤمن الإيمان الجازم أن هذه الكتب نزلت من عند الله، وأن الله تكلم بها حقيقة على ما يليق بجلاله وعظمته، وأن ما تضمنته من وحي الله لأنبيائه حق لا مرية فيه ولا يسع المسلم إنكار كتاب ثبت نزوله على رسول من رسل الله تعالى، وقد جاء ذكر الإيمان بالكتب في الكتاب والسنة.

أما الكتاب فقوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [٢]

وقوله تعالى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ (٢٨٥﴾ [٣]

وامتدح الله تعالى مريم بالإيمان بالكتب فقال سبحانه: ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ﴾ [٤]

قال الطبري: في بيان المراد من قوله تعالى: ﴿وكتبه﴾: يعني التوراة والإنجيل.

وقال البغوي: أراد الكتب التي أنزلت على إبراهيم وموسى وداود وعيسى عليهم السلام.

وقال ابن الجوزي: (وكتبه): أي التي أنزلت على الأنبياء [٥].

---

(١)نبذة في العقيدة الإسلامية (ص: ٤٦)

(٢)النساء: ١٣٦

(٣)البقرة: ٢٨٥

(٤)التحريم: ١٢

(٥) تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر (٢٣/ ٥٠٠)، وتفسير البغوي - إحياء التراث (٥/ ١٢٤) وزاد المسير في علم التفسير (٤/ ٣١٢)

وقد أمر الكتاب العزيز المؤمنين أن يخاطبوا أهل الكتاب بتقرير الإيمان بأشياء منها كتب الله المنزلة على رسله، قال الله تعالى: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (١)

وقد جاء الإيمان بالكتب في القرآن على أنحاء متنوعة كالتالي:

١-الأمر المباشر بالإيمان بها: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ﴾ (٢)

٢- جعل الإيمان بها من البر قال تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾ (٣)

٣- الثناء على المؤمنين بها، قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ (٤)

٤-جعل الكفر بالكتب أحد علامات الضلال، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ (٥)

٥- الإنكار على من آمن ببعض ما في الكتب وكفر ببعضها الآخر، قال الله تعالى: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ﴾ (٦)

الإيمان بالكتب في السنة

وردت أحاديث عدة تقرر ضرورة الإيمان بالكتب السماوية، ومنزلة الإيمان بها من الدين، فمن ذلك

حديث جبريل المشهور، وسياقه:

عن يحيى بن يعمر، قال: كان أول من قال في القدر بالبصرة معبد الجهني، فانطلقت أنا وحميد بن عبد الرحمن الحميري حاجين - أو معتمرين - فقلنا: لو لقينا أحدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فسألناه عما يقول هؤلاء في القدر، فوفق لنا عبد الله بن عمر بن الخطاب داخلا المسجد، فاكتنفته أنا وصاحبي أحدنا عن يمينه، والآخر عن شماله، فظننت أن صاحبي سيكل الكلام إلي، فقلت: أبا عبد الرحمن إنه قد ظهر قبلنا ناس يقرءون القرآن، ويتقفرون العلم، وذكر من شأنهم، وأنهم يزعمون أن

---

(١)البقرة: ١٣٦

(٢)النساء: ١٣٦

(٣)البقرة: ١٧٧

(٤)البقرة: ٤.

(٥)النساء: ١٣٦

(٦)البقرة: ٨٥

لا قدر، وأن الأمر أنف، قال: «فإذا لقيت أولئك فأخبرهم أني بريء منهم، وأنهم برآء مني»، والذي يحلف به عبد الله بن عمر «لو أن لأحدهم مثل أحد ذهبا، فأنفقه ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر» ثم قال: حدثني أبي عمر بن الخطاب قال: بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم، إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد، حتى جلس إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه، وقال: يا محمد أخبرني عن الإسلام، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا»، قال: صدقت، قال: فعجبنا له يسأله، ويصدقه، قال: فأخبرني عن الإيمان، قال: «أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره»، قال: صدقت...» الحديث(١).

قال الإمام الطحاوي –رحمه الله – في تقرير إيمان أهل السنة والجماعة أتباع النبي صلى الله عليه وسلم على الحق المبين: ونؤمن بالملائكة والنبيين والكتب المنزلة على المرسلين ونشهد أنهم كانوا على الحق المبين)

قال الشارح رحمه الله: الإيمان بالكتب المنزلة على المرسلين، يعني: أن نؤمن بما سمى الله تعالى منها في كتابه، من التوراة والإنجيل والزبور، ونؤمن بأن لله تعالى سوى ذلك كتبا أنزلها على أنبيائه، لا يعرف أسماءها وعددها إلا الله تعالى (٢).

العنصر الثاني: المراد بالإيمان بالكتب:

المراد بالإيمان بالكتب كما جاءت به الشريعة يكون في أمور هي:

١- أن جميعها يصدق بعضها بعضا لا يكذبه، قال الله تعالى: ﴿مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ﴾ [المائدة: ٤٦]

٢- أن كل من كذب بشيء منها أو أبى عن الانقياد لها مع تعلق خطابه به، يكفر بذلك كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ﴾ [الأعراف: ٤٠]

٣- أن نسخ الكتب الأولى بعضها ببعض حق، كما نسخ بعض شرائع التوراة بالإنجيل، فإن الإنجيل الذي نزل على عيسى عليه السلام جاء رافعا لبعض ما تقرر حكمه في التوراة على بني إسرائيل، قال الله

---

(١) أخرجه مسلم، وبنحوه متفق عليه.

(٢)شرح الطحاوية (ص: ٢٩١)

تعالى: ﴿وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [آل عمران: ٥٠] (١)

مقتضى الإيمان بالكتب

مقتضى الإيمان بالكتب ينقسم إلى قسمين:

الأول: إيمان مجمل بكل ما نزل من عند الله تعالى مما نعرف ومما لا نعرف

الثاني: إيمان على التفصيل بكل ما سماه الله تعالى في كتابه المجيد من أسماء الكتب، وأسماء من نزل عليهم من الأنبياء.

قال الشيخ حافظ الحكمي: (الإيمان بكتب الله عز وجل يجب إجمالا فيما أجمل وتفصيلا فيما فصل) (٢)

حقيقة الإيمان بالكتب

الإيمان بالكتب يجري على القلب واللسان والجوارح كالتالي:

أولا: إيمان القلب بالكتب يتضمن:

١–اعتقاد أنها منزلة عند الله، وهي كلامه ووحيه لأنبيائه، منه بدأت، ليست من إنشاء الرسل.

٢–اعتقادًا أنها تضمنت مراد الله من خلقه اعتقادًا وشريعةً وسلوكًا.

٣–اعتقاد وجوب العمل بمقتضاها وتعبد الله به.

ثانيا: إيمان اللسان يتضمن:

الإقرار بذلك الذي اعتقده القلب، والإخبار عنه، والشهادة به.

ثالثا: إيمان الجوارح يتضمن:

امتثالها أوامر الله في كتبه، وكفها عن نواهيه، وتأدبها بآدابه

الإيمان بالكتب يتضمّن أربعة أمور

١– أن نؤمن بأن الله تعالى أنزل على الرسل كتباً، وأنها من عند الله؛ ولكن لا نؤمن بأن الكتب الموجودة في أيدي هذه الأمم هي الكتب التي من عند الله لأنها محرّفة ومبدلة، لكن أصل الكتاب المنزل على الرسول نؤمن بأنه حق من عند الله.

٢– أن نؤمن بصحة ما فيها من أخبار كأخبار القرآن وأخبار ما لم يبدل أو يحرّف من الكتب السابقة.

٣– أن نؤمن بما فيها من أحكام إذا لم تخالف الشريعة على القول بأن شرع من قبلنا شرع لنا – وهو الحق – إذا لم يرد شرعنا بخلافه.

(١)معارج القبول بشرح سلم الوصول (٢/ ٦٧٣ – ٦٧٤

(٢)معارج القبول بشرح سلم الوصول (٢/ ٦٧٥)، وانظر: حاشية ثلاثة الأصول (ص: ١٠٢)

٤- أن نؤمن بما علمنا من أسمائها، مثل: القرآن والتوراة والإنجيل والزبور وصحف إبراهيم وصحف موسى [١].

أما عن الأمر الأول، فإن كثيرا من الناس يسأل: إذا كنا نؤمن بالكتب المنزلة على الرسل، فهل يستتبع الإيمان بها اعتقاد أن ما بأيدي اليهود والنصارى اليوم هو كلام الله تعالى؟

والجواب: أن الإيمان بهذه الكتب لا يعني التسليم بما في أيديهم اليوم؛ لأن الله تعالى وصف هذه الكتب بأن أهلها بدلوها وحرفوها، وغيروا أحكام الله تعالى، ونسبوا له ما لا يجوز، قال الله تعالى: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [٢] ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [٣]

أما الأمر الثاني: فيتضمن أن هذه الكتب التي بأيدي اليهود والنصار طالها التحريف لكن هذا لم يشمل كل ما اشتملت عليه، بل لا يزال فيها بعض ما لم يبدل، ولذا قال الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ﴾ [٤]

وأما الأمر الثالث: فهو الإيمان بما فيها من تشريعات لا تخالف ما جاءت به الشريعة الغراء، التي أنزلها الله تعالى على رسولنا صلى الله عليه وسلم، فإذا كان فيها من دعوة لمكارم الأخلاق أو بعضها، أو دعوة لاجتناب المنكرات، أو ما كان من هذا القبيل قبلنا به، لأن شرع من قبلنا شرع لنا ما لم يأت ناسخ له.

وأما الأمر الرابع: فهو الإيمان بما علمنا من أسمائها وهذا له مزيد تقرير.

مواضع الاتفاق بين الكتب السماوية

تتفق الكتب السماوية في عدة أشياء منها:

١- وحدة المصدر: فمصدرها واحد؛ فهي منزلة من عند الله

٢- وحدة الغاية: فالكتب السماوية غايتها واحدة، فهي كلها تدعو إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وإلى دين الإسلام؛ فالإسلام هو دين جميع الرسل.

٣- مسائل العقيدة: فالكتب اشتملت على الإيمان بالغيب، ومسائل العقيدة، كالإيمان بالرسل، والبعث والنشور، والإيمان باليوم الآخر إلى غير ذلك.

---

(١)شرح الأربعين النووية للعثيمين (ص: ٤٣)

(٢)البقرة: ٧٥

(٣)آل عمران: ٧٨

(٤)المائدة: ٤٧.

٤- القواعد العامة: فالكتب السماوية تقرر القواعد العامة، التي لابد أن تعيها البشرية؛ كقاعدة الثواب والعقاب، وهي أن الإنسان يحاسب بعمله، فيعاقب بذنوبه وأوزاره، ولا يؤاخذ بجريرة غيره، ويثاب بسعيه، وليس له سعي غيره

٥- العدل والقسط: فجميع الأنبياء - عليهم السلام - حملوا ميزان العدل والقسط.

٦- محاربة الفساد والانحراف

٧- الدعوة إلى مكارم الأخلاق [١]

(١)رسائل الشيخ محمد بن إبراهيم الحمد في العقيدة، ص187

الدرس الرابع: أسماء الكتب الإلهية وما حدث لأكثرها من تحريف

عناصر الدرس الرابع: أسماء الكتب الإلهية وما حدث لأكثرها من تحريف

- العنصر الأول: أسماء الكتب الإلهية، وعددها:
- العنصر الثاني: تحريف الكتب السابقة

أهداف الدرس الرابع: أسماء الكتب الإلهية وما حدث لأكثرها من تحريف

- تحديد أسماء الكتب الإلهية التي نزلت على الرسل
- يبين أسماء الأنبياء الذين نزلت عليهم الكتب المذكورة في الكتاب والسنة
- يكتب ما قاله العلماء في صور التحريف التي وقعت للكتب

العنصر الأول: أسماء الكتب الإلهية، وعددها:

بيت الشريعة الإسلامية بعض أسماء عدد من الكتب التي أنزلها الله تعالى على بعض رسله

ويجب أولا العلم أن هناك كتبا عرفناها بموجب نصوص الشريعة تفصيلا ، وهناك كتب إلهية أخرى لم نعرفها تحديدا.

وقد مر بنا أن الإيمان بالكتب يشمل الجانبين جانب المفصل المعروف منها، وجانب المجمل غير المعرف ولا بد في عرض الإيمان بالكتب تناول الآتي:

أولا: عدد الكتب الإلهية

يجب أولا معرفة أن مثل هذه الأمور لا تثبت إلا بأدلة صحيحة بينة الدلالة، لأنها أمور تخص العقيدة، وتلتصق بها، فلا يجوز التعويل على المردود والضعيف من الأخبار في إثبات أو نفي شيء منها:

ومما جاء مما يورده من يستدل على الكتب وعددها ما في صحيح ابن حبان وغيره من حديث أبي ذر: قلت: يا رسول الله، كم كتابا أنزله الله؟، قال: «مائة كتاب، وأربعة كتب، أنزل على شيث خمسون صحيفة، وأنزل على أخنوخ ثلاثون صحيفة، وأنزل على إبراهيم عشر صحائف، وأنزل على موسى قبل التوراة عشر صحائف، وأنزل التوراة والإنجيل والزبور والقرآن» (١)

وهذا الحديث ضعيف جدا لا يصلح للاحتجاج، ولذا نجد أن كل كتب السلف التي ذكرت ركن الإيمان بالله لم تورده أو تستشهد به في تدليلها على ركن الإيمان بالكتب، ولكنه في كتب التفاسير.

ومما ورد أيضا ما أورده الذهبي عن وهب بن منبه من قوله: لقد قرأت ثلاثين كتابا نزلت على ثلاثين نبيا(٢).

ومثل هذا لا تثبت به حجة ولكن نورده كما أورده المؤلفون.

أما الكتب التي جاءت بها الشريعة تفصلا بأسمائها فهي:

١ –التوراة

التوراة هي كتاب نبي الله موسى عليه السلام.

والتوراة لغة قيل: الضياء والنور. وأصلها ووراة (فوعلة) من وري الزند ووري لغتان. أي خرجت ناره، ولكن الواو الأولى قلبت تاء، والياء قلبت ألفا لتحركها، وانفتاح ما قبلها.

وقيل: توراة أصلها: تورية، على تفعلة، إلا أن الياء قلبت ألفا لتحركها، وانفتاح ما قبلها (٣)

---

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه (٢/ ٧٦)، قال الألباني ضعيف جدا، وكذا قال الأرناؤوط.

وقد أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (١/ ١٦٧)، وابن الشجري في ترتيب الأمالي الخميسية (١/ ٢٦٩)

(٢)سير أعلام النبلاء ط الرسالة (٤/ ٥٤٧)

(٣)غريب القرآن (ص: ١٣٦)

أصلها من قولهم: ورى الزند إذا خرجت ناره وأوريته أنا، قال الله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ﴾ [١]، فسمي التوراة لأنها نور وضياء، قال الله تعالى: ﴿وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِلْمُتَّقِينَ﴾ [٢]، وقيل: هي من التورية وهي كتمان السر والتعريض بغيره، وكان أكثر التوراة معاريض من غير تصريح [٣]

وكلمة التوراة يستعملها المسلمون كثيرا للدلالة على كل الكتب المقدسة عند اليهود، فتشمل الزبور وغيره كما يستعملها اليهود أنفسهم أحيانا بهذا الإطلاق [٤].

والتوراة بالمعنى الدقيق عند أصحابها خمسة أسفار: سِفْر التكوين، سِفْر الخروج، سِفْر اللاويين، سِفْر العدد، سِفْر التثنية.

وقد تكرر ذكر "التوراة" في القرآن كثيرًا، فمن ذلك:

قوله تعالى: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ [٥]

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ﴾ [٦]

ومن ذلك: ﴿يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[٧]

ومنه ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [٨]

كما جاء القرآن بأن ما أعطاه على نبي الله موسى عليه السلام ألواحا كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ (١٤٤) وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا﴾ [٩]، وقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾[١٠]

---

(١)[الواقعة: ٧١

(٢)[الأنبياء: ٤٨

(٣) تفسير البغوي – إحياء التراث (١/ ٤٠٨)

(٤)تفسير مقاتل بن سليمان، (٥/ ٢١٧) وهو من كلام المحقق.

(٥)آل عمران: ٣

(٦)آل عمران: ٥٠

(٧)آل عمران: ٦٥

(٨)آل عمران: ٩٣

(٩)الأعراف: ١٤٤، ١٤٥

(١٠)الأعراف: ١٥٤

فقيل الألواح هي التَّوراة[١]

وقد وصف الله ما أعطاه الله لموسى بأنه فرقان، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِلْمُتَّقِينَ﴾[٢]

ما تحويه التوراة

ذكر القرآن الكريم طائفة مما تشتمل عليه التوراة التي كانت بيد موسى عليه السلام، وظلت بيد بني إسرائيل قبل أن يعبث بها العابثون، فمن ذلك:

١–أنها تتضمن البشارة بالنبي صلى الله عليه وسلم، قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ﴾ [٣]

٢– أنها تتضمن بعض صفات أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، قال الله تعالى: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ﴾ [٤].

٣– أنها تتضمن بعض التشريعات التي أقرت في الإسلام كما قال الله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ﴾ [٥]

التوراة في السنة

كان لليهود بعض الوقائع في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، فمن ذلك:

١– حديث ابن عمر رضي الله عنهما، قال: أتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بيهودي ويهودية قد أحدثا جميعا، فقال لهم: «ما تجدون في كتابكم» قالوا: إن أحبارنا أحدثوا تحميم الوجه والتجبيه، قال عبد الله بن سلام: ادعهم يا رسول الله بالتوراة، فأتي بها، فوضع أحدهم يده على آية الرجم، وجعل يقرأ ما قبلها وما بعدها، فقال له ابن سلام: ارفع يدك، فإذا آية الرجم تحت يده، فأمر بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجما قال ابن عمر: فرجما عند البلاط، فرأيت اليهودي أجنأ عليها [٦]

٢– حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: كان أهل الكتاب يقرءون التوراة بالعبرانية، ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم، وقولوا: ﴿آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا﴾ [٧]الآية [١].

---

(١)الوجيز للواحدي (ص: ٤١٢)

(٢)الأنبياء: ٤٨

(٣)الأعراف: ١٥٧

(٤)الفتح: ٢٩.

(٥)المائدة: ٤٥

(٦) متفق عليه.

(٧)البقرة: ١٣٦

٣- حديث واثلة بن الأسقع، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: أنزلت صحف إبراهيم عليه السلام في أول ليلة من رمضان، وأنزلت التوراة لست مضين من رمضان، والإنجيل لثلاث عشرة خلت من رمضان، وأنزل الفرقان لأربع وعشرين خلت من رمضان [٢]

٢- الزبور

وهو كتاب نبي الله داود قال الله تعالى: ﴿وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا﴾ [٣]، وهو مشتمل على تذكير ومواعظ، وتحميد وتمجيد، قال قتادة زبور داود مواعظ وحكم ودعاء ليس فيه حلال ولا حرام [٤].

٣- الإنجيل

وهو كتاب نبي الله عيسى عليه السلام

والإنجيل: إفعيل من النجل وهو الخروج، ومنه سمي الولد نجلا لخروجه، فسمي الإنجيل به لأن الله تعالى أخرج به دارسا من الحق عافيا وقيل: هو من النجل وهو سعة العين، سمي به لأنه أنزل توسعة لهم ونورا، والإنجيل بالسريانية: أنقليون، ومعناه: الإكليل [٥]

قال أبو حيان: الإنجيل مشتق من النجل؛ وهو الماء الذي ينز من الأرض، وهو من نجل بمعنى ظهر سمي به لأنه مستخرج من اللوح المحفوظ

وقيل: من النجل وهو التوسعة، لأن فيه توسعة ما لم تكن في التوراة إذ حلل فيه بعض ما حرم فيها.

وقيل: مشتق من التناجل وهو التنازع.

قال: لا يخفى أن أمر الاشتقاق والوزن على تقدير عربية اللفظ ظاهر، وأما على تقدير- أنه أعجمي سرياني وهو الظاهر- فلا معنى له على الحقيقة لأن الاشتقاق من ألفاظ أخر أعجمية مما لا مجال لإثباته[٦].

وجاء ذكر الإنجيل في القرآن قال الله تعالى: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ﴾ [٧]

الإنجيل في السنة

---

(١) أخرجه البخاري.

(٢) أخرجه أحمد ٤/ ١٠٧)، وحسنه الألباني.

(٣)النساء: ١٦٣

(٤)تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر (١/ ٧١)، والمحرر الوجيز العزيز (٣/ ٤٨١)

(٥)تفسير البغوي - إحياء التراث (١/ ٤٠٨)

(٦)تفسير الألوسي = روح المعاني (٢/ ٧٥)

(٧)المائدة: ٤٦

ورد ذكر الإنجيل في السنة النبوية فمن ذلك ما في حديث عبد الله بن عمر أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول: إنما بقاؤكم فيما سلف قبلكم من الأمم كما بين صلاة العصر إلى غروب الشمس، أوتي أهل التوراة التوراة، فعملوا حتى إذا انتصف النهار عجزوا، فأعطوا قيراطا قيراطا، ثم أوتي أهل الإنجيل الإنجيل، فعملوا إلى صلاة العصر، ثم عجزوا، فأعطوا قيراطا قيراطا..» الحديث (١)

علاقة الإنجيل بالتوراة

بينت آيات القرآن أن ما أنزل على عيسى عليه السلام كان به بعض التخفيف عن بني إسرائيل مما جاءت به التوراة، قال الله تعالى: ﴿وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ (٢)

ومما ينبغي أن يعلم أن التوراة والإنجيل معا يطلق عليهما الكتاب المقدس عند النصارى، فهم يؤمنون بالكتابين بخلاف اليهود، الذين لا يقرون بالإنجيل.

العنصر الثاني: تحريف الكتب السابقة

لم يبق من الكتب السابقة إلا التوراة والإنجيل التي بأيدي اليهود والنصارى، وهي كتب طالتها يد العبث والتحريف والتبديل، وهذا مما أشارت له آيات القرآن في مواضع عديدة

قال الله تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ (٣)

وقال سبحانه: ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ﴾(٤)

وقد أخذ تحريف الكتب المقدسة عند اليهود والنصارى سبلا شتى، فمن ذلك:

لي الكلام وتغييره، قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ﴾(٥)

ومنها تحريف كتابته قال الله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾ (٦)

---

(١) أخرجه البخاري

(٢)آل عمران: ٥٠]

(٣)المائدة: ١٣]

(٤)النساء: ٤٦]

(٥)آل عمران: ٧٨]

(٦)البقرة: ٧٩]

وهذا التحريف كان عن قصد وتعمد، قال الله تعالى: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (١)

كما كان لهم مواقف شتى من كتاب الله تدل على ميلهم للكفر وعدم تقدير كلام الله حق قدره، فقد أخبر الله تعالى عنهم أنه نبذوه وراء ظهورهم، قال الله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٢)

وقد ذكرت آيات القرآن عنهم أنهم اشتروا به ثمنا قليلا، وأنهم كانوا يخفونه إذا تطلب الأمر، وكان يكتمونه إذا اشتمل على حق لا يريدون له الظهور، وكانوا يلبسون الحق بالباطل

وهكذا سارت الكتب المقدسة التي بأيدي أهل الكتاب في طريق التبديل والتحريف، فوقع فيها التناقض ومجافاة العقل، ومصادمة العلم

قال ابن حزم: (وقد كنا نعجب من إطباق النصارى على تلك الأقوال الفاسدة المتناقضة، التي لا يخفى فسادها على أحد به رمق، إلى أن وقفنا على ما بأيدي اليهود، فرأينا أن سبيلهم وسبيل النصارى واحدة، كشق الأنملة، وثبت بذلك عند كل منصف من المخالفين صحة قولنا: إن كل من خالف دين الإسلام ونحلة السنة، ومذهب أصحاب الحديث فإنه عارف بضلال ما هم عليه؛ إلا أنهم بخذلان الله تعالى إياهم مكابرون لعقولهم، مغلّبون لأهوائهم وظنونهم على يقينهم؛ تقليدا لأسلافهم، وعصبية واستدامة لرياسة دنيوية، وهكذا وجدنا أكثر من شاهدنا من رؤسائهم فنحمد الله كثيرا على ما هدانا له من الإسلام ونحلة السنة واتباع الآثار الثابتة ونسأله تثبيتنا على ذلك وأن يجعلنا من الدعاة إليه حتى يدعونا إلى رحمته ورضوانه عن لقائه)(٣).

---

(١)البقرة: ٧٥

(٢)البقرة: ١٠١

(٣)الفصل في الملل والأهواء والنحل (١/ ٩٤)

الدرس الخامس: المراد بالإيمان بالقرآن، وخصائصه، وحفظ الله له

عناصر الدرس الخامس: المراد بالإيمان بالقرآن، وخصائصه، وحفظ الله له

- العنصر الأول: تعريف القرآن، ومصدره:
- العنصر الثاني: معنى الإيمان بالقرآن:
- العنصر الثالث: خصائص القرآن:

أهداف الدرس الخامس: المراد بالإيمان بالقرآن، وخصائصه، وحفظ الله له

- تعريف القرآن لغة واصطلاحا وذكر تعريفاته الاصطلاحية
- تحديد مهمة النبي صلى الله عليه وسلم تجاه القرآن
- أن يقارن بين القرآن والكتب السابقة من خلال الوقوف على خصائص القرآن
- بيان أسماء القرآن والتدليل عليها
- تحديد مناط حفظ الله للقرآن دون سائر الكتب السماوية

العنصر الأول: تعريف القرآن، ومصدره:

القرآن هو أجل كتب الله تعالى، وأكثرها خيرا، وأعظمها فائدة، وكل كلام الله تعالى فيه خير، لكن بعضه يفضل بعض، فأفضل ما أنزل الله على رسله قاطبة هو القرآن.

القرآن لغة: مصدر على وزن غفران كالغفران والرجحان والشكران بمعنى القراءة، ثم نقل في عرف الشرع من هذا المعنى وجعل علما على مقروء معين، وهو من باب تسمية المفعول بالمصدر، وقد ورد بهذا المعنى في قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ (١٧) فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ (١)

وقد روعي في تسميته قرآنا كونه متلوّا بالألسن، كما روعي في تسميته كتابا كونه مدونا بالأقلام، فكلتا التسميتين من تسمية الشيء بالمعنى الواقع عليه (٢)

وللقرآن الكريم تعريفات عديدة منها:

أنه: اسم للمتلوّ المحفوظ المرسوم في المصاحف

وقيل: هو الكلام المنزّل على الرسول، المكتوب في المصاحف، المنقول إلينا نقلاً متواتراً (٣)

وقيل: هو المنزل على الرسول المكتوب في المصاحف المنقول عنه نقلًا متواترًا بلا شبهة (٤)،

مما يتعلق بالقرآن تعريف الحديث القدسي

الحديث القدسي: هو ما رواه النبي صلى الله عليه وسلم عن ربه باللفظ والمعنى ونقل إلينا آحادا أو متواترا ولم يبلغ تواتر القرآن.

ومثاله حديث أبي ذر الغفاري عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه عز وجل أنه قال: «يا عبادي، إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا» (٥).

الفرق بين القرآن والحديث القدسي والنبوي: أن القرآن متعبد بتلاوته معجز في نظمه متحدى به، يحرم مسه لمحدث، وتلاوته لنحو جنب، وروايته بالمعنى، وتتعين قراءته في الصلاة، ويؤجر قارئه بكل حرف منه حسنة والحسنة بعشر حسنات. بخلاف الحديث القدسي والحديث النبوي فإنما ليسا كذلك

مصدر القرآن

---

(١) القيامة: ١٧، ١٨

(٢)النبأ العظيم (ص: ٤١)

(٣)إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول (١/ ٨٥)

(٤)أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة (ص: ١٤٣)، والتعريفات (ص: ١٧٤)

(٥)أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة (ص: ١٤٣)

لقد علم الناس أجمعون علمًا لا يخالطه شك أن هذا الكتاب العزيز جاء على لسان رجل عربي أمي ولد بمكة في القرآن السادس الميلادي، اسمه محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله.. هذا القدر لا خلاف فيه بين مؤمن وملحد؛ لأن شهادة التاريخ المتواتر به لا يماثلها ولا يدانيها شهادته لكتاب غيره ولا لحادث غيره ظهر على وجه الأرض.

أما بعد، فمن أين جاء به محمد بن عبد الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ أمن عند نفسه ومن وحي ضميره، أم من عند معلم؟ ومن هو ذلك المعلم؟

هذا الكتاب وبحسب نصوصه القاطعة، ليس من عمل صاحبه، وإنما هو قول رسول كريم، ذلكم هو جبريل -عليه السلام- تلقاه من لدن حكيم عليم، ثم نزله بلسان عربي مبين على قلب محمد -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فتلقنه محمد منه كما يتلقن التلميذ عن أستاذه نصًّا من النصوص، ولم يكن له فيه من عمل بعد ذلك إلا:

١- الوعي والحفظ

٢-الحكاية والتبليغ

٣- البيان والتفسير

٤- التطبيق والتنفيذ [(١)].

وهكذا نجزم ويجزم كل من عرف القرآن أنه ليس من وضع النبي صلى الله عليه وسلم، ولا من تأليفه، ودوره فيه مقتصر على ما سبق.

وتدل آيات الوحي على ذلك بجلاء فمن ذلك

: ﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَى إِلَيَّ مِنْ رَبِّي﴾ [الأعراف: ٢٠٣] ﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ﴾ وأمثال هذه النصوص كثيرة في شأن إيحاء المعاني،

ثم يقول في شأن الإيحاء اللفظي: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ [(٢)] ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى﴾ [(٣)] ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ، إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ، فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ، ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾[(٤)] ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ

(١)النبأ العظيم (ص: ٤٩)

(٢)سورة يوسف: الآية ٢.

(٣) سورة الأعلى: الآية ٦.

(٤)٥ سورة القيامة: الآية ١٦

الَّذِي خَلَقَ، خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ، اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾ (١) ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾ ﴿أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾ (٢)

فعبر بالقراءة والإقراء، والتلاوة والترتيل، وتحريك اللسان، وكون الكلام عربيًّا، وكل أولئك من عوارض الألفاظ لا المعاني البحتة.

القرآن إذًا صريح في أنه "لا صنعة فيه لمحمد -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ولا لأحد من الخلق، وإنما هو منزل من عند الله بلفظه ومعناه (٣) ".

العنصر الثاني: معنى الإيمان بالقرآن:

إن الإيمان بالقرآن يتشعب شعبا:

أولاها: أنه كلام الله تبارك وتعالى وليس من وضع محمد صلى الله عليه وسلم ولا من وضع جبريل عليه السلام.

الثانية: الاعتراف بأنه معجز النظم لو اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثله لما يقدروا عليه

والثالثة: اعتقاد أن جميع القرآن الذي توفي النبي صلى الله عليه وسلم عنه هو هذا الذي في مصاحف المسلمين لم يفت منه شيء ولم يضع بنسيان ناس ولا ضلال صحيفة ولا موت قارئ ولا كتمان كاتم ولم يحرف منه شيء ولم يزد فيه حرف ولم ينقص منه حرف فأما الوجه الأول فإن الله عز وجل قال: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢] (٤)

المراد بالإيمان بالقرآن

يتضمن الإيمان بالقرآن التالي:

١- أنه لا يأتي كتاب بعده ولا مغير ولا مبدل لشيء من شرائعه بعده.

٢- أنه ليس لأحد الخروج عن شيء من أحكامه.

٣-أن من كذب بشيء منه من الأمم الأولى فقد كذب بكتابه، كما أن من كذب بما أخبر عنه القرآن من الكتب فقد كذب به.

---

(١)سورة العلق: الآيات ١- ٣.

(٢)سورة المزمل: الآية ٤..

(٣)النبأ العظيم (ص: ٤٩)

(٤)شعب الإيمان للبيهقي - العلمية (١/ ١٨٥)

٤- أن من اتبع غير سبيله ولم يقتف أثره ضل، قال تعالى: ﴿المص (١) كِتَابٌ أُنْزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لِتُنْذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ (٢) اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ١ - ٣]

٥- لا بد في الإيمان به من امتثال أوامره واجتناب مناهيه وتحليل حلاله وتحريم حرامه، والاعتبار بأمثاله والاتعاظ بقصصه.

٦- العمل بمحكمه والتسليم لمتشابهه، والوقوف عند حدوده

٧- تلاوته آناء الليل والنهار والذب عنه لتحريف الغالين وانتحال المبطلين.

٨- النصيحة له ظاهرا وباطنا بجميع معانيها (١)

العنصر الثالث: خصائص القرآن:

إن للقرآن خصائص دون سائر كتب الله المنزلة، وله من القدر والمكانة ما ليس لسائر الكتب الإلهية: فهو معجزة الإسلام يراها ويقرؤها الناس في كل عصر، وهي مناسبة لرسالة محمد صلى الله عليه وسلم لعمومها في الأجيال، ولمكانته في الرسل، ومقامه في هذا الوجود الإنساني إلى يوم القيامة (٢)

وهو هو المهيمن على كل كتاب، والمخبر عنها، والشاهد لها، والمصدق بها، لا يشبه الشعر، ولا الرسائل، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد، عجزت الإنس والجن أن يأتوا بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً، كتاب جمع فيه النظم، والإعجاز، والبسط والإيجاز، والفصاحة، والبلاغة، والتحذير، والزجر، والأمر، بكل طاعة، وتكرمة وأدب، والنهي عن كل منكر، وسرف ومعصية، وفعل قبيح مذموم، والتعبد بكل فعل شريف مذكور من طهارة، وصلاة، وصيام، وزكاة، وحج وجهاد وصلة الأرحام، والبذل والعطاء، والصدق والوفاء، والخوف والرجاء، وما يكثر تعداده مما لا يحصى، مع محاجته صلى الله عليه وسلم لقومه حين قالوا: ﴿ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ﴾ [يونس: ١٥] فأجابهم: ﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ﴾ [يونس:١٥] (٣).

ويمكننا أن نضيف بعض خصائص القرآن كالتالي:

---

(١)معارج القبول بشرح سلم الوصول (٢/ ٦٧٥)

(٢) مجلة جامعة أم القرى.

(٣) الاعتقاد لابن أبي يعلى (ص: ٣٥)

١- اعتقاد عموم دعوته وشمول الشريعة التي جاء بها لعموم الثقلين من الجن والإنس لا يسع أحدًا منهم إلا الإيمان به ولا أن يعبدوا الله إلا بما شرع فيه. قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان:١].

٢ - اعتقاد نسخه لجميع الكتب السابقة فلا يجوز لأهل الكتاب ولا لغيرهم أن يعبدوا الله بعد نزول القرآن بغيره، فلا دين إلا ما جاء به، ولا عبادة إلا ما شرع الله فيه، ولا حلال إلا ما أحل فيه، ولا حرام إلا ما حرم فيه، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾.

وفي حديث جابر بن عبد الله نهي النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه عن قراءة كتب أهل الكتاب وقوله: «والذي نفسي بيده لو أن موسى كان حيًّا ما وسعه إلا أن يتبعني» (١)

٣ - سماحة الشريعة التي جاء بها القرآن ويسرها، بخلاف الشرائع في الكتب السابقة. فقد كانت مشتملة على كثير من الآصار، والأغلال التي فرضت على أصحابها. قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ [الأعراف:١٥٧]

٤ - أن القرآن هو الكتاب الوحيد من بين الكتب الإلهية الذي تكفل الله بحفظ لفظه ومعناه من أن يتطرق إليه التحريف اللفظي أو المعنوي...قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر:٩]. وقال تعالى: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت:٤٢]

٥ - أن القرآن الكريم مشتمل على وجوه كثيرة من الإعجاز شارك فيها غيره من الكتب المنزلة، وهو في الجملة المعجزة العظمى وحجة الله البالغة الباقية التي أيد بها نبيه صلى الله عليه وسلم وأتباعه إلى قيام الساعة.

٦- أن الله تعالى يسر القرآن للمتذكر والمتدبر وهذا من أعظم خصائصه. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾ [القمر:١٧]

٧- أنه مشتمل على الإخبار ببعض أمور الغيب، ﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [هود: ٤٩]

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسند: ٣ / ٣٨٧.

٨- أن الله تعالى بين في القرآن كل شيء مما يحتاج له الناس في أمر دينهم، ودنياهم، ومعاشهم، ومعادهم. قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩]

فمن أسمائه:

الكتاب، قال الله تعالى: ﴿حم (١) وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ [الزخرف: ١، ٢]

القرآن، قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾ [الواقعة: ٧٧]

كلام الله، قال الله تعالى: ﴿فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٦]

نور، قال الله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا﴾ [النساء: ١٧٤]

هدى، قال الله تعالى: ﴿هُدًى وَرَحْمَةً لِلْمُحْسِنِينَ﴾ [لقمان: ٣]

رحمة، قال الله تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾ [يونس: ٥٨]

ومن ذلك: فرقان، شفاء، موعظة، ذكر، حكمة، مهيمن.....

سر اختصاص القرآن بالخلود وعدم التحريف، دون الكتب السابقة:

لقد امتاز القرآن دون سائر كتب الله المنزلة على رسله بأنه محفوظ من التبديل والتحريف.

كما أنه محفوظ حفظ كتابة في المصحف، ومحفوظ في الصدور كذلك.

وأنه الكتاب الوحيد على وجه الأرض الذي لو أصبحت البشرية على اختفاء جميع الكتب بها، لما استطاع أهل كتاب أن يعيدوا كتابا فقدوه مثل القرآن، وبنفس ما فيه بلا زيادة ولا نقصان.

قال القرطبي رحمه الله: (لو غسلت المصاحف لما انغسل من الصدور، ولما ذهب من الوجود) [١]

و(السر في التفرقة بين القرآن وسائر الكتب السماوية أن سائر الكتب السماوية جيء بها على التوقيت لا التأبيد، وأن هذا القرآن جيء به مصدقًا لما بين يديه من الكتب ومهيمنًا عليها، فكان جامعًا لما فيها من الحقائق الثابتة، زائدًا عليها بما شاء الله زيادته، وكان سادًّا مسدها، ولم يكن شيء منها ليسد مسده، فقضى الله أن يبقى حجة إلى قيام الساعة، وإذا قضى الله أمرًا يسر له أسبابه، وهو الحكيم العليم [٢].

حفظ الله تعالى لكتابه المجيد

(١)المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٧/ ١٦٣)

(٢)النبأ العظيم (ص: ٤٢)

لقد حفظ الله كلامه وصانه كما سبق عن سائر الكتب، قال الإمام الطبري: في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نزلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ أي: وإنا للقرآن لحافظون من أن يزاد فيه باطل مَّا ليس منه، أو ينقص منه ما هو منه من أحكامه وحدوده وفرائضه.

وقال قتادة: حفظه الله من أن يزيد فيه الشيطان باطلا أو ينقص منه حقا [١]

وفي الصحيح عن: عن عياض بن حمار المجاشعي، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال ذات يوم في خطبته: " ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم، مما علمني يومي هذا، كل مال نحلته عبدا حلال، وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا، وإن الله نظر إلى أهل الأرض، فمقتهم عربهم وعجمهم، إلا بقايا من أهل الكتاب، وقال: إنما بعثتك لأبتليك وأبتلي بك، وأنزلت عليك كتابا لا يغسله الماء، تقرؤه نائما ويقظان...الحديث» [٢]

فقوله: «كتابا لا يغسله الماء» يحتمل أن يريد الإشارة إلى حفظه وبقائه على مر الدهر، فهو محفوظ في الصدور لا يتطرق إليه الذهاب بل يبقى على مر الأزمان [٣].

---

(١)تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر (١٧/ ٦٨)

(٢) أخرجه مسلم، كتاب صفة الجنة والنار، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار، برقم (٢٨٦٥)

(٣)إكمال المعلم بفوائد مسلم (٨/ ٣٩٥)، وشرح النووي على مسلم (١٧/ ١٩٨)

الدرس السادس : ثمرات الإيمان بالكتب

عناصر الدرس السادس : ثمرات الإيمان بالكتب

- العنصر الأول : مكانة الإيمان بالكتب :
- العنصر الثاني : ثمرات الإيمان بالكتب:

أهداف الدرس السادس : ثمرات الإيمان بالكتب

- استنتاج بعض ثمرات الإيمان بالكتب
- استخلاص حكمة الله تعالى في إنزال الكتب
- التعرف على آثار الكتب في الخلق كافة.

العنصر الأول: مكانة الإيمان بالكتب:

لقد مر أن الإيمان بالكتب أحد أركان الإيمان الستة. ودليل ذلك ما في حديث جبريل عليه السلام وفيه: من حديث عمر بن الخطاب قال: بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم، إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد، حتى جلس إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه، وقال: يا محمد أخبرني عن الإسلام، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا»، قال: صدقت، قال: فعجبنا له يسأله، ويصدقه، قال: فأخبرني عن الإيمان، قال: «أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره»، قال: صدقت...» الحديث[1].

إن من أهم ما ينبغي أن يعلمه الموحد، أن أحكام الله تعالى وتكاليفه ليس فيها شيء من العبث، بل كلها لحكمة ومصلحة تعود على من كلف بالخير، وقد قال الله تعالى ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا﴾[2]، فإن الله تعالى قد خلقنا لحكمة ومصلحة، والمصلحة لا تعود على الله تعالى قط، بل تعود إلى العباد بالقطع.

وإذا كان الله تعالى كلفنا بالإيمان بما أنزل من كتب، فإن هذا لحكمة ومصلحة لا شك، وهذه الحكمة وتلك المصلحة لها ثمار، وقد قال الله تعالى إشارة لإنزال الكتب وبعض فوائده: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ [الحديد: ٢٥]

وإذا كان الإيمان بالكتب بهذه المثابة، وأنه يسامت الإيمان بالله تعالى والملائكة، ويأتي بعد الإيمان بالملائكة مباشرة في ترتيب الذكر، فلا شك أن لهذا الركن الإيماني ثمرات شتى لا بد أن نتعرف عليها.

العنصر الثاني: ثمرات الإيمان بالكتب:

تتجلى ثمرات الإيمان بالكتب في العناصر التالية:

١- شكر الله تعالى على لطفه بخلقه وعنايته بهم حيث أنزل إليهم الكتب المتضمنة إرشادهم لما فيه خيرهم وصلاحهم في الدنيا والآخرة.

---

(١) أخرجه مسلم، وبنحوه متفق عليه.

(٢) المؤمنون: ١١٥

فإن الله تعالى لم يخلق الخلق سدى، ولم يتركهم هملا، بل أرسل الرسل ،، وأنزل معهم الكتاب الذي فيه أحكامه إليهم، ولو تركهم لعقولهم، وما جادت به قرائحهم لتهارجوا وفشا فيهم المنكرات

٢- ظهور حكمة الله تعالى حيث شرع في هذه الكتب لكل أمة ما يناسبها، وكان خاتم الكتب القرآن العظيم مناسبا لجميع الخلق في كل عصر ومصر إلى قيام الساعة.

٣- إثبات صفة الكلام لله تعالى وأن كلامه لا يشبه كلام المخلوقين، وأن المخلوقين يعجزون بتمامهم واجتماعهم عن الإتيان بمثل كلامه [١].

٤- العلم بعناية الله بعباده وكمال رحمته بهم حيث أنزل لكل قوم كتاباً يهديهم به...

-التحرر من زبالات أفكار البشر بهدي السماء.

-السير على طريق مستقيمة واضحةٍ لا اضطراب فيها ولا اعوجاج.

-الفرح بذلك الخير العظيم ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [٢].

٥- التحرر من التخبط الفكري والعقدي [٣]

فإن العقول لا تنفرد بالتحسين والتقبيح، ولا يمكنها ذاك، بل مرد ذاك إلى الشرائع التي أساسها الكتب الإلهية

---

(١)شرح ثلاثة الأصول للعثيمين (ص: ٩٥)، وأصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة لنخبة من العلماء – ص: ١٢٩

(٢) يونس : ٥٨

(٣) رسائل في العقيدة لمحمد بن إبراهيم الحمد ص: ٢٨٢

الدرس السابع : الإيمان بالرسل وخصائص رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وحقوقه

عناصر الدرس السابع : الإيمان بالرسل وخصائص رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وحقوقه

- العنصر الأول : الإيمان بالرسل :
- العنصر الثاني : تعريف النبي والرسول والفرق بينهما :

أهداف الدرس السابع : الإيمان بالرسل وخصائص رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وحقوقه

- تحديد معني النبي والرسول
- يستنتج الفرق بين النبي والرسول
- يستخلص الرأي الراجح بين النبي والرسول
- يتذكر أسماء المرسلين الواردة في الكتاب العزيز

العنصر الأول: الإيمان بالرسل:

الأنبياء والمرسلون، هم صفوة الله من خلقه، وهم الذين اختارهم الله من دون الناس ليبلغوا أمانة الله إليهم، ويعيدوا اعوجاج البشر في العقائد والأخلاق والشرائع إلى جادة الصواب

منزلة الإيمان بالرسل من الإيمان

الإيمان بالرسل ركن من أركان الإيمان الستة

قال الله تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾ (١) وقال الله تعالى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾ (٢)

وفي الحديث الذي مر بنا حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وفيه سؤال جبريل عليه السلام لرسول الله: ((قال: فأخبرني عن الإيمان، قال: «أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره»، قال: صدقت...» الحديث (٣).

المراد بالإيمان بالرسل

المراد بالإيمان بالرسل هو:

الإيمان بالأنبياء والمرسلين له جوانب إجمالية، وجوانب تفصيلية، قال شارح الطحاوية: (علينا الإيمان بمن سمى الله تعالى في كتابه من رسله، والإيمان بأن الله تعالى أرسل رسلا سواهم وأنبياء، لا يعلم أسماءهم وعددهم إلا الله تعالى الذي أرسلهم. فعلينا الإيمان بهم جملة؛ لأنه لم يأت في عددهم نص (٤).

وعليه فيمكن القول: إن الإيمان بهم يتناول التالي:

١- الإيمان بمن سمى الله تعالى في كتابه منهم، فمن ذلك من وردت أسمائهم في آيات الأنعام وهم: قال الله تعالى: ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (٨٣) وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ

---

(١) البقرة: ١٧٧.

(٢)البقرة: ٢٨٥

(٣) أخرجه مسلم، وبنحوه متفق عليه.

(٤)شرح الطحاوية (ص: ٢٩٠)، ومجلة البحوث الإسلامية (٣٥/ ١٤٧)

وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (٨٤) وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ (٨٥) وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ٨٣ - ٨٦] (١)

ويبقى من لم يذكر في هذه الآية سبعة هم:

سيدنا إدريس، قال الله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾ [مريم: ٥٦]

سيدنا هود قال الله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٢٤) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ [الشعراء: ١٢٤، ١٢٥]

سيدنا شعيب، قال الله تعالى: ﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ (١٧٦) إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٧٧) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ [الشعراء: ١٧٦ - ١٧٨]

سيدنا صالح، قال الله تعالى: ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ [هود: ٦١]

سيدنا ذو الكفل، قال الله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ﴾ [ص: ٤٨]

سيدنا وأبينا آدم عليه السلام، قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى﴾ [طه: ١٢٢]

ثم سيدنا محمد خير الخلق وسيد ولد آدم. وأدلة نبوته من الظهور بحيث لا تحتاج للاستدلال، فإن الله خاطبه في كتابه تار بالرسالة: ﴿يَاأَيُّهَا الرَّسُولُ﴾ [المائدة: ٦٧]، وتارة بالنبوة: ﴿يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ﴾ [الأنفال: ٦٤]

٢- الإيمان بأن الله تعالى أرسل رسلا وأنبياء سوى من ذكر لنا منهم قال الله تعالى: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾ [النساء: ١٦٤].

٣- الإيمان بأن دعوتهم جميعا متفقة في الأصل وهي الدعوة إلى توحيد الله سبحانه ونفي ما يضاد ذلك.

الإيمان بأنهم صادقون فيما قالوا وفيما دعوا الناس إليه وأنهم على الحق المبين والصراط المستقيم. يقول قال شيخ الإسلام ابن تيميه: "ولهذا أجمع أهل الملل قاطبة على أن الرسل معصومون فيما يبلغونه عن الله تبارك وتعالى، لم يقل أحد أن من أرسله الله يكذب عليه، وقد قال تعالى ما يبين إنه لا يقر كاذبا عليه

(١)مجلة البحوث الإسلامية (٦٨/ ١٨٣)

بقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾ (١)

٤- الإيمان بأنهم بلغوا رسالة ربهم كما أوحاها الله إليهم بدون زيادة أو نقص.

٥- الإيمان بأن الله بعث في كل أمة رسولا يدعوهم إلى عبادة الله وحده.

٦- الإيمان بأن الله سبحانه فضل بعضهم على بعض ورفع بعضهم على بعض درجات.

٧- الإيمان بأن الله سبحانه خص بعضهم بخصائص دون بعض فخص إبراهيم ومحمد بالخلّة وموسى بالتكليم، وإدريس بالرفع في المكان العلي، وعيسى روح منه، حيث خلقه من غير أب، وأنه عبده ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم.

٨- الإيمان بأن من كفر بواحد منهم فهو كافر بالجميع.

٩- الإيمان بأن خاتمهم هو محمد صلى الله عليه وسلم وأنه لا نبي بعده.

١٠- العمل بشريعته عليه السلام دون من سواه.

١١- الإيمان بكل ما أخبروا به (٢).

العنصر الثاني: تعريف النبي والرسول والفرق بينهما:

تعريف النبي:

النبي لغة: قال ابن عثيمين: قيل: مشتق من النبأ، وحذفت الهمزة تخفيفا يعني: سهلت الهمزة تخفيفا، وإما من النبوة وهي الشيء المرتفع لرفعه مقام النبي صلى الله عليه وسلم بما أحظاه الله به من الوحي (٣).

وسمّي النبي نبيّاً لأنه مُخْبِرٌ مُخْبَر، فهو مُخْبَر، أي: أنَّ الله أخبره، وأوحى إليه قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ [التحريم: ٣]، وهو مُخْبِرٌ عن الله تعالى أمره ووحيه نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ [الحجر: ٤٩] وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ [الحجر: ٥١].

تعريف الرسول:

الرسول في اللغة: من الإرسال وهو التوجيه، فإذا بعثت شخصاً في مهمة فهو رسولك، قال تعالى حاكياً قول ملكة سبأ: ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾ [النمل: ٣٥]، وقد يريدون

(١) الحاقة ٤٤-٤٧.

(٢) مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

(٣) فتح ذي الجلال والإكرام بشرح بلوغ المرام ط المكتبة الإسلامية (١/ ٤٦)

بالرسول ذلك الشخص الذي يتابع أخبار الذي بعثه، أخذاً من قول العرب: (جاءت الإبلُ رَسَلاً) أي: متتابعة، فالرُّسل إنّما سمّوا بذلك لأنَّهم وُجّهوا من قبل الله تعالى: ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا [المؤمنون: ٤٤]، وهم مبعوثون برسالة معينة مُكلَّفون بحملها وتبليغها ومتابعتها (١)

الفرق بين النبي والرسول

معرفة الفرق بين النبي والرسول مما عني به من تكلم عن ركن الإيمان بالرسل، وقد انقسمت الأقوال في هذه المسألة إلى قولين:

القول الأول: إنه لا يوجد أي فرق بين النبي والرسول، فكلا اللفظين معناهما الإنباء والإخبار، فالنبي هو من ينبئ والرسول يبلغ الرسالة، وعلى ذلك فلا فرق بينهما. والواقع أن أصحاب هذا الرأي استندوا في تفسيرهم للفظين إلى اللغة باعتبار أن النبي اسم فاعل أو اسم مفعول، والرسول اسم مفعول، وبناء على هذا قرروا عدم وجود فرق بين اللفظين.

القول الثاني: الفرق بين لفظي النبي والرسول متقرر، فهناك بينهما فرق، ودلالة كل منهما مختلفة عن الآخر وإطلاقه كذلك، واستندوا في ذلك على القرآن والأحاديث الشريفة التي تؤيدهم في هذا الرأي، ومن ذلك: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّىٰ أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾ وهو لجمهور العلماء (٢).

وبناء على ما سبق من تقرير الفرق بين النبي والرسول، ذكر العلماء الفروق التالية بينهما:

١- الرسول هو من له كتاب أو نسخ لبعض أحكام الشريعة السابقة، والنبي قد يخلو من ذلك كيوشع عليه السلام.

٢- أن الرسول صاحب الوحي بواسطة الملك، والنبي هو المخبر عن الله تعالى بكتاب أو إلهام أو تنبيه في المنام.

٣- الرسول من يأتيه الملك عليه السلام بالوحي يقظة، والنبي يقال له ولمن يوحى إليه في المنام لا غير.

٤- الرسول ذكر حي بعثه الله بشرع جديد يدعو الناس إليه، والنبي يعمه ومن بعثه لتقرير شرع سابق، كأنبياء بني إسرائيل الذين كانوا بين موسى وعيسى عليهما السلام.

---

(١) الرسل والرسالات، لعمر الأشقر، ص ١٤.

(٢)مجلة البحوث الإسلامية (٢/ ١٦٤)

٥- الرسول ذكر حر بعثه الله تعالى إلى قوم بشرع جديد بالنسبة إليهم وإن لم يكن جديدا في نفسه، كإسماعيل عليه السلام، إذ بعث لجرهم أولا. والنبي يعمه، من بعث بشرع غير جديد.

٦- أن المشهور في عرف الشرع أن النبي أعم من الرسول، فإنه من أوحى إليه وأمر بالتبليغ [١]

ويرى شيخ الإسلام أن: (النبي هو الذي ينبئه الله، وهو ينبئ بما أنبأه الله به، فإن أرسل مع ذلك إلى من خالف أمر الله ليبلغه رسالة من الله إليه فهو رسول، أما إذا كان يعمل بالشريعة قبله ولم يرسل هو إلى أحد يبلغه عن الله رسالة فهو نبي وليس برسول [٢].

---

(١) السابق

(٢)النبوات لابن تيمية (٢/ ٧١٤)

الدرس الثامن : حاجة البشر إلى الرسل

عناصر الدرس الثامن : حاجة البشر إلى الرسل

- العنصر الأول : حاجة البشر للرسل والرسالات
- العنصر الثاني : عدد الأنبياء والرسل :

أهداف الدرس الثامن : حاجة البشر إلى الرسل

- استخلاص أن العبد لا ينفرد بتقرير مصالحه .
- الانتباه بأن الإنسان لا يستقل بوضع منهج متكامل لحياته دون الرسالات
- تذكر أن البشر لا يستطيعون أن يستقلوا بمعرفة ما يرضي الله سبحانه أو يسخطه من الأقوال والأعمال والعقائد
- تحديد أنه لا سبيل إلى السعادة والفلاح لا في الدنيا ولا في الآخرة إلا على أيدي الرسل.
- الانتباه بأن الرسل والأنبياء هم الميزان الراجح الذي على أقوالهم وأعمالهم وأخلاقهم توزن الأقوال والأخلاق والأعمال

العنصر الأول: حاجة البشر للرسل والرسالات

إن الرسل هم صفوة الخلق الذين اختصهم الله تعالى من بين خلقه، والحاجة إليهم متقررة لا تحتاج إلى تأكيد ولا بد من بيان ذلك مفصلا.

فالرسالة ضرورية في إصلاح العبد في معاشه ومعاده، فإن العبد لا ينفرد بتقرير مصالحه، ولا يقوى عقله على ذلك قط، وإنما ميز الإنسان دون سائر الحيوانات بالعقل، لا ليكون العقل حاكما، ولا محسنا ولا مقبحا، كما هو قول الفرق المبتدعة التي قدمت العقل على الشرع، وجعلته محسنا للحسن ومقبحا للقبيح، ولا قبيح عندهم إلا ما قبحه العقل، ولا حسن إلا ما حسنه

وإن الله تعالى لا يريد إلا الخير بعباده، ولا يرضى لهم إلا شكره والتعلق به، وفي الحديث: ((...لا أحد أحب إليه العذر من الله، ومن أجل ذلك بعث المبشرين والمنذرين)) (١)

إن الإنسان لا يستقل بوضع منهج متكامل لحياته؛ لما جبل عليه من عجز ونقص وضعف، فاقتضت رحمة الله العزيز الرحيم: أن يبعث الرسل، به معرفين، وإليه داعين، ولمن أجابهم مبشرين، ولمن خالفهم محذرين. فكانت هداية الله تعالى ورسالاته ضرورة ملحة وحاجة بشرية، لا غنى عنها، ولا استقامة لحياة الناس بدونها (٢)

يقول شيخ الإسلام: (الدنيا كلها ملعونة ملعون ما فيها إلا ما أشرقت عليه شمس الرسالة وأسس بنيانه عليها ولا بقاء لأهل الأرض إلا ما دامت آثار الرسل موجودة فيهم فإذا درست آثار الرسل من الأرض وانمحت بالكلية خرب الله العالم العلوي والسفلي وأقام القيامة) (٣)

أن عقول الناس مختلفة أعظم اختلاف، ولا تستطيع أن تستقل بمعرفة ما يرضي الله سبحانه أو يسخطه من الأقوال والأعمال والعقائد، ومن أجل ذلك أرسل الله رسله، من نوح عليه الصلاة والسلام إلى أن ختموا بنبينا محمد – صلى الله عليه وسلم (٤)

قال شيخ الإسلام:(لا صلاح للعبد في آخرته إلا باتباع الرسالة، ولا صلاح له في معاشه ودنياه إلا باتباع الرسالة كذلك؛ فإن الإنسان مضطر إلى الشرع؛ فإنه بين حركتين: حركة يجلب بها ما ينفعه؛ وحركة يدفع بها ما يضره. والشرع هو النور الذي يبين ما ينفعه وما يضره، والشرع نور الله في أرضه وعدله بين عباده وحصنه الذي من دخله كان آمنا. وليس المراد بالشرع التمييز بين الضار والنافع بالحس؛ فإن ذلك

---

(١) متفق عليه.

(٢)مجلة البحوث الإسلامية (١٦/ ٣٠٠)

(٣)مجموع الفتاوى (١٩/ ١٠١)

(٤)مجلة البحوث الإسلامية (٤٢/ ١٠٠)

يحصل للحيوانات العجم؛ فإن الحمار والجمل يميز به بين الشعير والتراب بل التمييز بين الأفعال التي تضر فاعلها في معاشه ومعاده كنفع الإيمان والتوحيد؛ والعدل والبر والتصدق والإحسان؛ والأمانة والعفة؛ والشجاعة والحلم؛ والصبر والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وصلة الأرحام وبر الوالدين والإحسان إلى المماليك والجار؛ وأداء الحقوق؛ وإخلاص العمل لله والتوكل عليه؛ والاستعانة به والرضا بمواقع القدر به؛ والتسليم لحكمه والانقياد لأمره؛ وموالاة أوليائه ومعاداة أعدائه وخشيته في الغيب والشهادة؛ والتقوى إليه بأداء فرائضه واجتناب محارمه؛ واحتساب الثواب عنده؛ وتصديقه وتصديق رسله في كل ما أخبروا به؛ وطاعته في كل ما أمروا به؛ مما هو نفع وصلاح للعبد في دنياه وآخرته؛ وفي ضد ذلك شقاوته ومضرته في دنياه وآخرته. ولولا الرسالة لم يهتد العقل إلى تفاصيل النافع والضار في المعاش والمعاد فمن أعظم نعم الله على عباده وأشرف منة عليهم: أن أرسل إليهم رسله؛ وأنزل عليهم كتبه؛ وبين لهم الصراط المستقيم. ولولا ذلك لكانوا بمنزلة الأنعام والبهائم بل أشر حالا منها فمن قبل رسالة الله واستقام عليها فهو من خير البرية ومن ردها وخرج عنها فهو من شر البرية) [١]

من هنا كانت حاجة البشر للرسالات الإلهية ضرورة لا غنى عنها.

إن حاجة البشر للرسل توازي حاجتهم للرسالات، فالرسل صلوات الله عليهم حملة الأمانة، وهم الوسائط بين الله وخلقه، أنزل عليهم وحيه، وابتعثهم بدينه وشرائعه، وحاجة البشرية لهم كحاجتهم إلى الطعام والشراب بل أشد

يقول شيخ الإسلام: (ليست حاجة أهل الأرض إلى الرسول كحاجتهم إلى الشمس والقمر والرياح والمطر، ولا كحاجة الانسان إلى حياته، ولا كحاجة العين إلى ضوئها، والجسم إلى الطعام والشراب؛ بل أعظم من ذلك وأشد حاجة من كل ما يقدر ويخطر بالبال، فالرسل وسائط بين الله وبين خلقه في أمره ونهيه وهم السفراء بينه وبين عباده) [٢].

ويمكننا تلخيص حاجة البشر للرسالات كالتالي:

١- أنه لا سبيل إلى السعادة والفلاح لا في الدنيا ولا في الآخرة إلا على أيدي الرسل.

٢- لا سبيل إلى معرفة الطيب والخبيث على التفصيل إلا من جهتهم.

٣- لا ينال رضا الله البتة إلا على أيديهم.

٤- أن الطيب من الأعمال والأقوال والأخلاق ليس إلا هديهم وما جاءوا به،

٥- أنهم الميزان الراجح الذي على أقوالهم وأعمالهم وأخلاقهم توزن الأقوال والأخلاق والأعمال [٣]

---

(١)مجموع الفتاوى (١٩/ ٩٩)

(٢)مجموع الفتاوى (١٩/ ١٠١)

(٣) انظر: زاد المعاد في هدي خير العباد (١/ ٦٨) بتصرف واختصار

العنصر الثاني: عدد الأنبياء والرسل:

من قواعد الإيمان بالرسل وجوب الإيمان بمن سمى الله تعالى في كتابه من رسله، والإيمان بأن الله تعالى أرسل رسلا وأنبياء لا يعلم عددهم إلا الله تعالى فيؤمن بهم جملة؛ فلم يأت في عدد الأنبياء والمرسلين نص، قال الله تعالى: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ (١)

وانقسم العلماء حيال تحديد أعداد الأنبياء إلى فريقين:

الأول: يرى أن عدد الأنبياء مائة ألف وأربعمائة وعشرين ألفا، والرسل عددهم ثلاثمائة وثلاثة عشر أو خمسة عشر.

وحجتهم حديث أبي ذر الطويل، ولكن صحة الحديث غير متفق عليها بل عليها تنازع بين المحدثين.

لكن ورد في الحديث عن أبي أمامة أن رجلا قال: «يا رسول الله كم كانت الرسل؟ قال: ثلاثمائة وخمسة عشر جما غفيرا» (٢).. فلم يذكر في هذا الحديث عدد الأنبياء بل اقتصر على ذكر عدد الرسل.

ولكن جزم البغدادي بالعدد السابق فقال: (أصحاب التواريخ من المسلمين على أن أعداد الأنبياء عليهم السلام مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا، أولهم أبونا آدم عليه السلام، وآخرهم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وأجمعوا على أن الرسل منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر) (٣)

الثاني: من يرى أنه لم يأت حديث صحيح في تعيين عددهم، منهم ابن كثير الذي ساق عند تفسيره لآية النساء أحاديث يذكر فيها أن عدد الأنبياء: مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا، وأحاديث أخرى تذكر أن عددهم ثمانية آلاف، وغيرها يذكر أن عددهم ألف نبيا؛ ثم بين أن الأحاديث الواردة لا تخلو من ضعف على كثرتها. وكذلك ابن تيمية الذي أشار إلى حديث أبي ذر بصيغة التضعيف فقال: (وقد روي في حديث أبي ذر أن عددهم ثلاثمائة وثلاثة عشر) وكأنه لم يصح عنده إذ لم يستدل به

كذلك الإمام أحمد بن حنبل مع أنه روى حديث أبي ذر، فإنه لم يصح عنده، ذلك أنه صرح بأنه لا يعرف عدد الأنبياء والرسل والكتب

تعقيب

الأسلم حيال الرأيين السابقين هو الإمساك عن تعيين عدد الأنبياء والإيمان بمن سمى الله منهم والإيمان بالبقية إجمالا (٤)

---

(١) النساء: ١٦٤

(٢)المستدرك، للحاكم ٢/ ٢٨٨، وصححه ووافقه الذهبي.

(٣)أصول الدين، البغدادي ١٥٧.

(٤)مجلة البحوث الإسلامية (٦٨/ ١٧٩) وما بعدها باختصار وتصرف

إذا: علينا الإيمان بمن سمى الله تعالى في كتابه من رسله، والإيمان بأن الله تعالى أرسل رسلا سواهم وأنبياء، لا يعلم أسماءهم وعددهم إلا الله تعالى الذي أرسلهم. فعلينا الإيمان بهم جملة؛ لأنه لم يأت في عددهم نص [(١)]

(١)شرح الطحاوية (ص: ٢٩٠)

الدرس التاسع : منزلة الأنبياء والمرسلين وفضلهم وصفاتهم وخصائصهم

عناصر الدرس التاسع : منزلة الأنبياء والمرسلين وفضلهم وصفاتهم وخصائصهم

- العنصر الأول : منزلة الأنبياء والمرسلين :
- العنصر الثاني : صفات الأنبياء :

أهداف الدرس التاسع : منزلة الأنبياء والمرسلين وفضلهم وصفاتهم وخصائصهم

- استنتاج منزلة الأنبياء والمرسلين في مقابل من سواهم.
- التعرف على فضل الأنبياء والمرسلين.
- تحديد صفات الأنبياء
- معرفة الفرق بين النبي وبين غيره من البشر
- الانتباه بموقف العقيدة السلفية من نبوة النساء

العنصر الأول: منزلة الأنبياء والمرسلين:

إن منزلة الأنبياء هي المنزلة الأعظم بين البشر، وهي منزلة لا ينالها أحد باجتهاد ولا مجاهدة بل هي محض اصطفاء من الله تعالى لمن اختاره من خلقه، قال تعالى: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ (١)

ومن عقيدة المسلمين أن الرسل أفضل الخلق (٢)، والأنبياء أفضل الخلق باتفاق المسلمين (٣)

وقد فضلهم الله تعالى وشرفهم بأن (اختصهم بوحيه، وجعلهم أمناءَ على رسالته وواسطة بينه وبين عباده، وخصهم بأنواع كراماته؛ فمنهم من اتخذه خليلاً. ومنهم من كلمه تكليماً.

ومنهم من رفعه مكاناً علياً على سائرهم درجات. ولم يجعل لعباده وصولاً إليه إلا من طريقهم.

ولا دخول إلى جنته إلا خلفهم. ولم يكرم أحداً منهم بكرامة إلا على أيديهم.

فهم أقرب الخلق إليه وسيلة، وأرفعهم عنده درجة، وأحبهم إليه وأكرمهم عليه.

وخير الدنيا والآخرة إنما ناله العباد على" أيديهم وبهم عرف الله وبهم عبد وأُطيع وبهم حصلت محابة تعالى في الأرض (٤).

منزلة الأنبياء وفرق الابتداع

قد مرقت بعض الفرق في جانب منزلة الأنبياء والرسل، فهناك من فضل الأئمة على الرسل، وهي بعض فرق الشيعة الغالية، التي جعلت أئمتها أفضل من الأنبياء (٥)

وهناك من فرق الصوفية الغالية من جعلت منزلة الولاية أفضل من النبوة، حتى قال قائلهم:

مقام النبوة في برزخ * فويق الرسول ودون الولي (٦)

والمقصود الأعظم أن يعلم المرء أن النبوة والرسالة ليس فوقهما منزلة، وهما محض اصطفاء من الله، ولا ينالهما أحد باجتهاد ولا مجاهدة، ولا يصل لمنزلة النبوة أحد قط مهما كانت درجة صلاحه وعمق تقواه، وشدة عبادته.

فضل الأنبياء والرسل:

---

(١) الحج: ٧٥

(٢)التعليقات المختصرة على متن العقيدة الطحاوية، للشيخ الفوزان (ص: ١٢٦)، وشرح العقيدة الطحاوية لابن جبرين (٤/ ١٣٠)

(٣)دقائق التفسير، لابن تيمية (٢/ ١١٦)

(٤)طريق الهجرتين وباب السعادتين (ص: ٣٥٠)

(٥)النبوات لابن تيمية (٢/ ٧١٣، ومنهاج السنة النبوية (٨/ ٢٣)

(٦)شرح العقيدة الطحاوية لابن جبرين (٣/ ٢٩)

إن فضل الأنبياء والرسل على سائر الخلق معروفة متقررة، فإن الله ما ذكرهم مع الخلق إلا وقدمهم.

قال شيخ الإسلام: اتفق سلف الأمة وأئمتها وسائر أولياء الله تعالى على أن الأنبياء أفضل من الأولياء الذين ليسوا بأنبياء وقد رتب الله عباده السعداء المنعم عليهم " أربع مراتب، فقال تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ (١)

وهو يعني أنه تعالى: بدأ بالأنبياء، ثم الصديقين، ثم الشهداء، ثم الصالحين.

ولا مراء أن نبيا واحدا أفضل من جميع الأولياء (٢).

العنصر الثاني: صفات الأنبياء:

لقد حاز أنبياء الله تعالى الصفات العلى بين البشر، ولئن كانوا بشرا يأكلون ويشربون وتجري عليهم السنن الجارية في البشر، إلا أنهم امتازوا عن البشر بصفات منها:

١- جميع رسل الله -تعالى- وأنبيائه -عليهم السّلام- رجال وليس فيهم ملَك مُنزَّل من السماء، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٣)

٢- أنبياء الله ورُسُله -عليهم السّلام- هم أفضل خلق الله وأكثرهم عِلماً، وهم كذلك أقواهم إيماناً بالله وأكثرهم عبادةً له، وأحسن الناس أخلاقاً وتواضعاً.

٣- رُسل الله وأنبياؤه -عليهم السّلام- جميعهم من البشر، وتصدُق عليهم جميع الصفات التي يتّصف بها البشر، وتصدُق عليهم جميع الأحوال التي تعتري سائر البشر من الأكل، والشرب، والنّسيان، والنوم، والمرض، والموت، فهذه الخصائص يشترك بها البشر جميعاً، ولا يملكون دفع شيءٍ من المرض، أو النسيان، أو الحاجة إلى الطعام والشراب عن أنفسهم، فليسوا ملائكةً لا يأكلون ولا يشربون، وليسوا آلهةً يملكون دفع الضّرّ عن أنفسهم، وهم كذلك لا يعلمون الغيب أو شيئاً منه إلّا إن أطلعهم الله -تعالى- عليه، وليس بأيديهم جلب النفع لأحدٍ من الناس، قال الله -تعالى- على لسان أنبيائه: (قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (٤)

٤-أنبياء الله ورسله -عليهم السّلام- هم أنقى الناس سريرةً، وأطهرهم قلوباً، وأذكاهم من حيث الفِطنة ورجاحة العقل، وهم أشدّ الناس بأساً، ويتميّزون جميعهم بالرّحمة، والأخلاق الحسنة، والصبر، وتحمّل

---

(١) النساء: ٦٩

(٢)شرح الطحاوية (ص: ٥٠٤)

(٣)سورة النحل، آية: ٤٣ .

(٤)سورة الأعراف، آية: ١٨٨.

الشدائد والأهوال، وهم كذلك الأصدق بين الناس إطلاقاً، قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾(١).

الفرق بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين غيره من البشر

هناك فروق عديدة بين النبي وبين غيره من البشر منها:

١- النبي لا يمكن أن يقع منه الشين إطلاقًا.

٢- لا يمكن أن يقع منه الكذب.

٣- لا يمكن أن يقع منه ما يخل بالشرف والأخلاق الفاضلة.

٤-لو قدر أنه حصل منه صغيرة من الصغائر فإنه لا يقرّ عليه لا بد أن ينبَّه لها وأن يقلع عنها، أما غيره فكل هذا يمكن في حقه وكفى بذلك شرفًا- عليهم الصلاة والسلام- أن يكونوا منزهين عن مثل هذه الأمور (٢).

ومن خصائص الأنبياء أيضا:

٥- أن أعينهم تنام، ولا تنام قلوبهم.

ففي الصحيح: جاءه ثلاثة نفر، قبل أن يوحى إليه، وهو نائم في مسجد الحرام، فقال أولهم: أيهم هو؟ فقال أوسطهم: هو خيرهم، وقال آخرهم: خذوا خيرهم. فكانت تلك، فلم يرهم حتى جاءوا ليلة أخرى فيما يرى قلبه، والنبي صلى الله عليه وسلم نائمة عيناه ولا ينام قلبه، وكذلك الأنبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم، فتولاه جبريل ثم عرج به إلى السماء (٣).

٦- أن الأنبياء يخيرون عند الموت بين الموت والبقاء،

عن عائشة رضي الله عنها، قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «ما من نبي يمرض إلا خير بين الدنيا والآخرة» (٤).

نبوة النساء:

لم يأت في نصّ قرآني ولا في حديث نبويّ صحيح إخبار بنبوة واحدة من النساء.

وقد قال بعض العلماء بوجود النبوة في النساء، ولكن قال نقل ابن حجر عن الحسن قوله: ليس في النساء نبية ولا في الجن (١)

---

(١)سورة آل عمران، آية: ١٥٩

(٢)فتح ذي الجلال والإكرام بشرح بلوغ المرام ط المكتبة الإسلامية (٦/ ٥٠٩)

(٣) أخرجه البخاري برقم (٣٥٧٠)

(٤) أخرجه البخاري، برقم (٤٥٨٦)

قال الشيخ ابن باز رحمه الله: الجمهور على أن الرسل كلهم من البشر، من بني الإنسان، ومن الرجال فقط، ومن أهل المدائن والأمصار لا من أهل البادية لغلبة الجفاء والقسوة والجهل عليهم، قال الحسن البصري – رحمه الله –: لم يبعث الله نبيا من أهل البادية قط ولا من النساء ولا من الجن: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى﴾ [يوسف: ١٠٩] (٢)

فالخلاصة على ما في كلام الشيخ رحمه الله:

١– أن النبوة خاصة بالرجال

٢– أن الرسل في البشر فقط

٣– أن الرسل والأنبياء ممن خالط الناس في أمصارهم ونشأ بينهم

---

(١)فتح الباري لابن حجر (٦/ ٤٧١)

(٢)مجلة البحوث الإسلامية (٨٨/ ٤٤)

الدرس العاشر : معنى الوحي وأنواعه

عناصر الدرس العاشر : معنى الوحي وأنواعه

- العنصر الأول : تعريف الوحي :
- العنصر الثاني : مراتب الوحي :

أهداف الدرس العاشر : معنى الوحي وأنواعه

- التعرف على أنواع الوحي
- تحديد مراتب الوحي
- الانتباه بإطلاقات الوحي اللغوية
- استنتاج أنواع الوحي ومقارنة أنواعها

العنصر الأول: تعريف الوحي:

التعريف اللغوي: الوحي في اللغة: هو الإعلام السريع الخفي (١).

يطلق الوحي على: الإشارة، والكتابة، والرسالة، والإلهام. وكل ما ألقيته على غيرك، وهو لا يختص بالأنبياء، ولا بكونه من عند الله تعالى (٢).

الوحي بمعناه اللغوي يتناول:

١ – الإلهام الفطري للإنسان كالوحي لأم موسى. قال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ (القصص: ٧).

٢ – الإلهام الغريزي للحيوان كالوحي إلى النحل. قال تعالى: ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا﴾ (النحل: ٦٨).

٣ – الإشارة السريعة على سبيل الرمز والإيحاء، كإيحاء زكريا لقومه. قال تعالى ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ (مريم: ١١).

٤ – وسوسة الشيطان وتزيين الشر في نفوس أوليائه. قال تعالى: ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ﴾ (الأنعام: ١٢١).

٥ – ما يلقيه الله تعالى إلى ملائكته من أمر ليفعلوه. قال تعالى: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ (الأنفال: ١٢) (٣).

التعريف الشرعي: هو" إعلام الله أنبياءه بما يريد أن يبلغه إليهم من شرع أو كتاب بواسطة أو غير واسطة (٤).

العنصر الثاني: مراتب الوحي:

الوحي من الله تعالى يُتلقى بطرق جاء بيانها في الآية التالية: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ (الشورى: ٥١).

---

(١)مشارق الأنوار على صحاح الآثار (٢/ ٢٨١)، والمدخل إلى علوم القرآن الكريم (ص: ٣٢)

(٢)المعجم الاشتقاقي المؤصل (١/ ٣٦١)، وأصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة (ص: ١٢٣)

(٣)مباحث في علوم القرآن لمناع القطان (ص: ٢٨)

(٤) المدخل لدراسة علوم القرآن، محمد أبو شهبة، ص٨٣، وما بعدها، وأصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة (ص: ١٢٤)

فأخبر الله تعالى أن تكليمه ووحيه للبشر يقع على ثلاث مراتب:

المرتبة الأولى: الوحي المجرد وهو ما يقذفه الله في قلب الموحى إليه مما أراد بحيث لا يشك فيه أنه من الله.

ودليله قوله تعالى: ﴿إِلَّا وَحْيًا﴾ (الشورى: ٥١).

ومنه ما جاء في حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إن روح القدس نفث في روعي لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب» [١]

وألحق بعض أهل العلم بهذا القسم رؤى الأنبياء في المنام، كرؤيا إبراهيم عليه السلام على ما أخبر الله عنه في قوله: ﴿قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ﴾ (الصافات: ١٠٢).

وكرؤى النبي صلى الله عليه وسلم في بداية البعثة على ما روى الشيخان من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: «أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح» [٢]

المرتبة الثانية: التكليم من وراء حجاب بلا واسطة

كما ثبت ذلك لبعض الرسل والأنبياء كتكليم الله تعالى لموسى على ما أخبر الله به في أكثر من موضع من كتابه، قال تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ (النساء: ١٦٤).

وكتكليم الله لآدم؛ قال تعالى: ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ﴾ (البقرة: ٣٧).

وكتكليم الله تعالى لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء على ما هو ثابت في السنة. ودليل هذه المرتبة من الآية قوله تعالى: ﴿أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ (الشورى: ٥١).

المرتبة الثالثة: الوحي بواسطة الملك. ودليله قوله تعالى: ﴿أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ﴾ (الشورى: ٥١). وهذا كنزول جبريل عليه السلام بالوحي من الله على الأنبياء والرسل.

والقرآن كله نزل بهذه الطريقة تكلم الله به، وسمعه جبريل عليه السلام من الله –عز وجل – وبلغه جبريل لمحمد صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ﴾ (الشعراء: ١٩٢- ١٩٤) [١].

---

(١)مصنف ابن أبي شيبة (٧/ ٧٩)، قال الشيخ الألباني: أخرجه ابن حبان والحاكم وأبو عبد الرزاق وقال الحاكم صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي. تخريج مشكلة الفقر (ص: ١٩)

(٢) متفق عليه

ولجبريل عليه السلام في تبليغه الوحي لنبينا صلى الله عليه وسلم ثلاثة أحوال:

١ – أن يراه الرسول صلى الله عليه وسلم على صورته التي خلق عليها ولم يحصل هذا إلا مرتين رآه مرة بالأفق من ناحية المشرق وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ﴾ (التكوير: ٢٣). ورآه مرة ثانية ليلة الإسراء في السماء وهذا ما أخبر الله عنه بقوله: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى﴾ (النجم: ١٣- ١٥).

٢ – أن يأتيه الوحي في مثل صلصلة الجرس فيذهب عنه وقد وعى الرسول صلى الله عليه وسلم ما قال

٣ – أن يتمثل له جبريل في صورة رجل ويخاطبه بالوحي كما في حديث جبريل السابق.

وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن الحالتين الأخيرتين في إجابته للحارث بن هشام لما سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «يا رسول الله كيف يأتيك الوحي؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس، وهو أشده علي، فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال. وأحيانا يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني فأعي ما يقول» [٢]

(١) المدخل لدراسة علوم القرآن، محمد أبو شهبة، ص٨٥، وما بعدها، وأصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة (ص: ١٢٤) وما بعدها

(٢) متفق عليه، البخاري، بدء الوحي، كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم؟، ومسلم، كتاب الفضائل، باب عرق النبي صلى الله عليه وسلم في البرد وحين يأتيه الوحي، برقم (٢٣٣٣)

الدرس الحادي عشر : آراء المخالفين في النبوة ومناقشتها

عناصر الدرس الحادي عشر : آراء المخالفين في النبوة ومناقشتها

- العنصر الأول : إنكار النبوة :
- العنصر الثاني : من شبه المنكرين للنبوات :

عناصر الدرس الحادي عشر : آراء المخالفين في النبوة ومناقشتها

- أن يستنتج مناط شبهات المنكرين للنبوات
- أن يستخلص الردود المناسبة على شبهات المنكرين
- أن يقارن بن مناط شبهات كفار العرب والبراهمة
- أن يحدد ردودا عامة على الشبهات التي يثيرها منكرو النبوات

العنصر الأول: إنكار النبوة:

لقد مر بنا حاجة البشر للأنبياء والرسل، وأنه لا غنى للبشر مهما سمت عقولهم، وصفت قرائحهم عن الرسل والرسالات، فالمرء لا يستقل بمعرفة الحسن والقبيح، وأن العقول قد تعرف بعض مكارم الأخلاق لكنها لو عرفت خالقها فإنها لن تعرف ما يجب له سبحانه وتعالى عليها، ولن تعبده عبادة صحيحة.

وقد أرسل الله الرسل لئلا يكون للناس حجة، أو يقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير، ورغم ذلك فقد صادفت الرسل وصادف دعواتهم انكارا شديدا، تارة لما جاؤوا بها من الهدى، وتارة إنكارا لأصل الإرسال من الأساس، ونعرض هنا لأهم الشبهات التي تناولها المنكرون للنبوات والرد عليها.

المنكرون للنبوات أصناف:

الصنف الأول: القائلين باستحالتها واستحالة وقوعها، وهؤلاء لا كلام معهم لأن النبوة حصلت، ووقعت فلا حاجة للرد عليهم

الصنف الثاني: المنكرين لها لأنه لا حاجة إليها وهم:

١ – البراهمة

والبراهمة: قبيلة بالهند فيهم أشراف أهل الهند، ويقولون: إنهم من ولد برهمي ملك من ملوكهم قديم، ولهم علامة ينفردون بها، وهي خيوط ملونة بحمرة وصفرة يتقلدونها تقلد السيوف [١]

شبهتهم في إنكار النبوة:

قالت البراهمة في إنكار النبوة: لما صح أن الله عز وجل حكيم وكان من بعث رسولا إلى من يدري أنه لا يصدقه فلا شك في أنه متعنت عابث، فوجب نفي بعث الرسل عن الله عز وجل لنفي العبث والعنت عنه.

والمراد: كيف يبعث الله رسولا وهو يعلم أن قومه سيكذبونه؟ هذا عبث، والعبث منفي عن فعل الله تعالى وخلقه

والجواب: إنهم معترفون في مذهبهم أن هناك من جحد ربوبية الله تعالى فكيف جاز أن يخلقهم، وهو يعرف أنهم يجحدون ربوبيته.

فلو قالوا: هناك كثير لم يجحد الربوبية.

قيل لهم: وهناك كثير آمن بالرسل.

فكما خلق الله من جحد ربوبيته، أرسل الرسل أيضا لمن يعلم أنه يجحد ما معهم، فهذا جواب الشبهة الأولى: كيف يرسل الله رسلا وهو يعلم أن الناس ستكذبهم؟

---

(١)الفصل في الملل والأهواء والنحل (١/ ٦٣)

وقالوا أيضا: إن كان الله تعالى إنما بعث الرسل إلى الناس ليخرجهم بهم من الضلال إلى الإيمان، فقد كان أولى به في حكمته وأتم لمراده أن يضطر العقول إلى الإيمان به، قالوا فبطل إرسال الرسل على هذا الوجه أيضا.

والمراد: إذا كان الله يريد الهداية للخلق فلم لم يخلقهم مهتدين ابتداء، ما الحاجة لبعث الرسل، وقد خلق الناس هكذا؟

ويقال لهم: إن طريق معرفة الله عندكم هو الاستدلال، فإذا كان الاستدلال طريق معرفة الله عندكم، فيقال لهم: لماذا لم يخلق الله الناس مؤمنين دون الحاجة للاستدلال، وهو تعالى يعلم أن هناك من يستدل ومن لا يستدل، فلماذا لم يضطرهم للإيمان. وكان من الحكمة أن يضطر عقولهم إلى الإيمان به ولا يكلفهم مؤنة الاستدلال وأن يلطف بهم ألطافا يختار جميعهم معها الإيمان كما فعل بالملائكة. (١)

ثم يقال أيضا: إنه لا يقال في شيء من أفعاله تعالى أنه فعل كذا لعلة ولا إذ جاء الإنسان بالنطق وحرمه سائر الحيوان وخلق بعض الحيوان صائدا وبعضه مصيدا وباين بين جميع مفعولاته كما شاء فليس لأحد أن يقول

لم خلق الإنسان ناطقا وحرم الحمار النطق، وجعل الحجر جامدا لا حياة له ولا نطق وهذا أصل قد وافقنا البراهمة عليه وسائر من خالفنا من تفريع هذا المعنى ممن يقول بالتوحيد وهكذا إذا بعث تعالى الأنبياء ليس لأحد أن يقول لم بعثهم أو لم بعث هذا الرجل ولم يبعث هذا الآخر ولا لم بعثهم في هذا الزمان دون غيره في الأزمنة ولا لم بعثهم في هذا المكان دون غيره من الأمكنة (٢)

وما يرد به عليهم أيضا: لو سلمنا بحكم العقل بالحسن والقبح، فالشرع المستفاد من البعثة فائدته تفصيل ما أعطاه العقل إجمالا من مراتب الحسن والقبح والمنفعة والمضرة، وبيان ما يقصر عنه العقل ابتداء فإن القائلين بحكم العقل لا ينكرون أن من الأفعال ما لا يحكم العقل فيه بشيء

وذلك كوظائف العبادات وتعيين الحدود ومقاديرها

وتعليم ما ينفع وما يضر من الأفعال

وذلك أي النبي الشارع كالطبيب الحاذق يعرق الأدوية وطبائعها وخواصها مما لو أمكن معرفتها للعامة بالتجربة ففي دهر طويل يجربون فيه أي في ذلك الدهر الطويل من فوائدها لعدم حصول العلم بها بعد ويقعون في المهالك قبل استكمالها أي قبل استكمال مدة التجربة إذ ربما يستعملون من الأدوية في تلك

---

(١)الفصل في الملل والأهواء والنحل (١/ ٦٣)، والملل والنحل (٣/ ٩٦)، وأعلام النبوة للماوردي (ص: ٣٧)

(٢) المرجع السابق: ٦٤/١. ولمع الأدلة في قواعد عقائد أهل السنة والجماعة (ص: ١٢٣)

المدة ما يكون مهلكا ولا يعلمون ذلك فيهلكهم مع أن اشتغالهم بذلك أي بتحصيل العلم بأحوال الأدوية بطريق التجربة يوجب اتعاب النفس وتعطل الصناعات الضرورية والشغل عن المصالح والمعاش فإذا تسلموه من الطبيب خفت المؤنة وانتفعوا به وسلموا من تلك المضار (١).

العنصر الثاني: من شبه المنكرين للنبوات:

قالوا من القبيح اتباع رجل هو مثلك في الصورة والنفس والعقل، يأكل ممّا تأكل، ويشرب ممّا تشرب.... فأي تميّز له عليك؟ وأي فضيلة أوجبت استخدامك؟ وما دليله على صدق دعواه؟٣.

وهذه شبه قال بها كفار العرب قديما، قال الله تعالى: ﴿... وأَسَرّو النَّجوى الَّذينَ ظَلَموا هل هذا إلاّ بَشَرٌ مثلُكم...﴾ (الأنبياء:٣).

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلاَّ بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ * وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَخَاسِرُونَ﴾ (المؤمنون:٣٣-٣٤). (٢)

الجواب على هذه الشبهة

الحاصل أن الرسل قابلتهم بالجواب، وصدّقتهم بأنّهم مثلهم في الجسم والصورة، لكنهم غيرهم في المعرفة والكمال الروحي، لصلتهم بالله سبحانه دونهم، واطلاعهم على الغيب بإذنه سبحانه.

قال عزّ من قائل: ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلاَّ بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللهَ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللهِ وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (إبراهيم:١١).

وقد أمر الله تعالى رسوله أنْ يواجه هذا المنطق بقوله: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ﴾ (فصلت:٦).

فاتحاد البشرية مسلم به

لكن الفرق هو في الاختصاص بالوحي، فكان الاتباع من أجل خاصية الوحي، لا من أجل اتحاد البشرية

الشبهة الثالثة: الطعن في المعجزة التي تؤيد صدق النبوة

حاصل الشبهة: أنه لا سبيل إلى العلم بصحة النبوة لغيبها، وأن ظهور ما ليس في الطباع من معجزاتهم ممتنع الطباع الدافعة لها

الجواب عن هذه الشبهة:

١- أن المعجزات من فعل الله تعالى فيهم فخرجت عن حكم طباعهم.

٢- أنهم لما تميزوا بخروجهم عن الطباع من الرسالة تميزوا بما يخرج عن عرف الطباع من الإعجاز (١)

---

(١)المواقف - الإيجي (٣/ ٣٦٥)

(٢)الملل والنحل (٢/ ٦٥)

الشبهة الرابعة

أن ما يظهره الأنبياء من المعجزات الخارجة عن العادة قد يوجد مثلها في أهل الشعبذة والمخرقة وأهل النارنجيات وليس ذلك من دلائل صدقهم فكذلك أحكام المعجزات.

الجواب على هذه الشبهة:

١- أن الشعبذة تظهر لذوي العقول وتدلس على الغر الجهول فخالفت المعجزة التي تذهل لها العقول.

٢- أن الشعبذة تستفاد بالتعليم فيتعلمها من ليس يحسنها فيصير مكافئا لمن أحسنها ويعارضها بمثلها والمعجزة مبتكرة لا يتعاطاها غير صاحبها ولا يعارضه أحد بمثلها كما انقلبت عصى موسى حية تسعى تلتقف ما أفكه السحرة [(٢)].

وقد ذكر ابن القيم رحمه الله كيف تضمنت الفاتحة ردا على من أنكر النبوات فقال:

١- إثبات حمده تعالى التام، فإنه يقتضي كمال حكمته، وألا يخلق خلقه عبثا، ولا يتركهم سدى، لا يؤمرون ولا ينهون، ولذلك نزه الله نفسه عن هذا في غير موضع من كتابه، وأخبر أن من أنكر الرسالة والنبوة وأن يكون ما أنزل على بشر من شيء فإنه ما عرفه حق معرفته، ولا عظمه حق تعظيمه، ولا قدره حق قدره، بل نسبه إلى ما لا يليق به، ويأباه حمده ومجده [(٣)].

٢-إلهيته، وكونه إلها، فإن ذلك مستلزم لكونه معبودا مطاعا، ولا سبيل إلى معرفة ما يعبد به ويطاع إلا من جهة رسله.

٣- كونه ربا، فإن الربوبية تقتضي أمر العباد ونهيهم، وجزاء محسنهم بإحسانه، ومسيئهم بإساءته، هذا حقيقة الربوبية، وذلك لا يتم إلا بالرسالة والنبوة.

٣- كونه رحمانا رحيما، فإن من كمال رحمته أن يعرف عباده نفسه وصفاته ويدلهم على ما يقربهم إليه، ويباعدهم منه، ويثيبهم على طاعته، ويجزيهم بالحسنى، وذلك لا يتم إلا بالرسالة والنبوة، فكانت رحمته مقتضية لها.

٤- ثبوت يوم " الدين وهو يوم الجزاء الذي يدين الله فيه العباد بأعمالهم خيرا وشرا، وهذا لا يكون إلا بعد ثبوت الرسالة والنبوة، وقيام الحجة التي بسببها يدان المطيع والعاصي.

٥- كونه معبودا، فإنه لا يعبد إلا بما يحبه ويرضاه، ولا سبيل للخلق إلى معرفة ما يحبه ويرضاه إلا من جهة رسله، فإنكار رسله إنكار لكونه معبودا.

---

(١)أعلام النبوة للماوردي (ص: ٣٨)

(٢)أعلام النبوة للماوردي (ص: ٣٨)

(٣)مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (١/ ٩٠)

٦- كونه منعما على أهل الهداية إلى الصراط المستقيم: فإن إنعامه عليهم إنما تم بإرسال الرسل إليهم، وجعلهم قابلين الرسالة، مستجيبين لدعوته، وبذلك ذكرهم منته عليهم وإنعامه في كتابه [١].

---

(١) المرجع السابق، ١/٩١ بتصرف واختصار.

الدرس الثاني عشر: أدلة صدق الرسل، والفرق بين الآية والمعجزة، والكرامة، والأحوال الشيطانية، والسحر

عناصر الدرس الثاني عشر: أدلة صدق الرسل، والفرق بين الآية والمعجزة، والكرامة، والأحوال الشيطانية، والسحر

- العنصر الأول: أدلة صدق الرسل:
- العنصر الثاني: الفرق بين الآية والمعجزة، والكرامة، والأحوال الشيطانية، والسحر:

أهداف الدرس الثاني عشر: أدلة صدق الرسل، والفرق بين الآية والمعجزة، والكرامة، والأحوال الشيطانية، والسحر

- أن يتعرف الطالب تفصيلا على أدلة صدق الرسل
- أن يحدد الآيات التي أيد الله بها أنبياءه
- أن يقارن بين القرآن والمعجزات الأخرى
- أن يعرف المعجزة ويقارن بينها وبين سائر الخوارق
- أن ينتبه بمغزى الخوارق الشيطانية

العنصر الأول: أدلة صدق الرسل:

لقد سرى في الخلق على طول الزمن أن رسل الله وأنبيائه المبلغين عنه، والداعين إلى سبيله أن يستقبلوا من البشر بألوان من التكذيب والإنكار والدفع، حدث هذا مع كل المرسلين، قال الله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء: ١٠٥]، وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا﴾ [الأنعام: ٣٤]

ومن أجل هذا أرسل الله تعالى الرسل وأيدهم بألوان مما يدل على صدقهم، وصدق ما جاءوا به، فمن ذلك:

١- الآيات والمعجزات التي يجريها الله تصديقاً لرسله [(١)].

فإن الله تعالى أيد رسله بالآيات الكثيرة التي تحدث اليقين في نفس وعقل مشاهدها أو المطلع عليها بأن هذا لا يقدر على أن يأتي به البشر، لأنها فوق ما يقدرون عليه، وفي الصحيح، عن أبي هريرة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ما من الأنبياء من نبي إلا قد اعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر» [(٢)]

ومن المعجزات التي أعطاها الله لأنبيائه:

عصا سيدنا موسى عليه السلام، وكانت معجزة عظيمة من معجزاته، وقد جاء ذكرها في القرآن كثيرا قال الله تعالى: ﴿فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾ [الشعراء: ٤٥]

ومن ذلك الآيات التسع التي كانت على يده عليه السلام قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَونَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّن الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ - فَإِذَا جَاءتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَذِهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَى وَمَن مَّعَهُ أَلا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِندَ اللّهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ - وَقَالُواْ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِن آيَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ - فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُّفَصَّلاَتٍ فَاسْتَكْبَرُواْ وَكَانُواْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٣٠-١٣٣]

ومن ذلك ما كان يجريه الله بإذنه على يد سيدنا عيسى من إبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى، قال الله تعالى: ﴿وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِ الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ﴾ [آل عمران: ٤٩]

---

(١)الرسل والرسالات (ص: ١١٩)

(٢) أخرجه مسلم، برقم (١٥٢).

ومن ذلك ناقة سيدنا صالح عليه السلام، قال الله تعالى: ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الأعراف: ٧٣]

وما من نبي إلا وكان له معجزة مع قومه يتحداهم بها هي شاهد صدق على دعواه

القرآن الكريم معجزة الدهر الباقية:

ومن ذلك القرآن الكريم المعجزة الخالدة، التي خص بها سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وهو خاتم النبيين قال الله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨]

وأما علة كون معجزة نبينا صلى الله عليه وسلم كتابا يقرأ على مدى الدهر، فذلك له سبب، قال السيوطي: هذه الشريعة لما كانت باقية على صفحات الدهر إلى يوم القيامة خصت بالمعجزة العقلية الباقية ليراها ذوو البصائر [١]

وفي الحديث: «ما من الأنبياء من نبي إلا قد اعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيت وحيا أوحى الله إلي، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة» [٢]

قيل: إن معناه أن معجزات الأنبياء انقرضت بانقراض أعصارهم فلم يشاهدها إلا من حضرها ومعجزة القرآن مستمرة إلى يوم القيامة وخرقه العادة في أسلوبه وبلاغته وإخباره بالمغيبات فلا يمر عصر من الأعصار إلا ويظهر فيه شيء مما أخبر به أنه سيكون يدل على صحة دعواه وقيل المعنى أن المعجزات الواضحة الماضية كانت حسية تشاهد بالأبصار كناقة صالح وعصا موسى ومعجزة القرآن تشاهد بالبصيرة فيكون من يتبعه لأجلها أكثر لأن الذي يشاهد

بعين الرأس ينقرض بانقراض مشاهده والذي يشاهد بعين العقل باق يشاهده كل من جاء بعد الأول مستمرا [٣]

والقرآن أنما صار معجزا لأنه جاء بأفصح الألفاظ، في أحسن نظوم التأليف، مضمنا أصح المعاني: من توحيد له – عزت قدرته –وتنزيه له في صفاته، ودعاء إلى طاعته، وبيان بمنهاج عبادته: من تحليل وتحريم، وحظر وإباحة، ومن وعظ وتقويم، وأمر بمعروف، ونهي عن منكر، وإرشاد إلى محاسن الاخلاق، وزجر عن مساويها. واضعا كل شيء منها موضعه الذي لا يرى شيء أولى منه، ولا يرى في صورة العقل أمر أليق منه، مودعا أخبار القرون الماضية، وما نزل من مثلات الله بمن عصى وعاند منهم، منبئا عن الكوائن

(١)الإتقان في علوم القرآن (٤/ ٣)

(٢) أخرجه مسلم، برقم (١٥٢).

(٣)الإتقان في علوم القرآن (٤/ ٤)

المستقبلة في الأعصار الباقية من الزمان، جامعا في ذلك بين الحجة والمحتج له، والدليل والمدلول عليه، ليكون ذلك أوكد للزوم ما دعا إليه

تحدي النبي بالقرآن أهل العربية الفصحاء في زمنه:

إن أجناس الكلام مختلفة، ومراتبها في نسبة التبيان متفاوتة، ودرجاتها في البلاغة متباينة غير متساوية.

فمنها البليغ الرصين الجزل، ومنها الفصيح القريب السهل، ومنها الجائز المطلق الرسل.

وهذه أقسام الكلام الفاضل.

فالقسم الاول أعلى طبقات الكلام وأرفعه، والقسم الثاني أوسطه وأقصده،

والقسم الثالث أدناه وأقربه.

فحازت بلاغات القرآن من كل قسم من هذه الأقسام حصة، وأخذت من كل نوع من أنواعها شعبة، فانتظم لها بامتزاج هذه الأوصاف نمط من الكلام يجمع صفتي الفخامة والعذوبة [١].

ولقد عجز العرب أرباب الفصاحة والبلاغة والبيان، وتصريف فنون الكلام عن معارضة القرآن، أو حتى الإتيان بسورة تشبهه على كثرة الخطباء فيهم والبلغاء نادى عليهم بإظهار العجز وإعجاز القرآن فقال ﴿قل لئن اجتمعت الأنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا﴾ هذا وهم الفصحاء اللد وقد كانوا أحرص شيء على إطفاء نوره وإخفاء أمره فلو كان في مقدرتهم معارضته لعدلوا إليها قطعا للحجة ولم ينقل عن أحد منهم أنه حدث نفسه بشيء من ذلك ولا رامه بل عدلوا إلى العناد تارة وإلى الاستهزاء أخرى فتارة قالوا: "سحر" وتارة قالوا: "شعر" وتارة قالوا: "أساطير الأولين"؛ كل ذلك من التحير والانقطاع ثم رضوا بتحكيم السيف في أعناقهم وسبي ذرا ويهم وحرمهم واستباحة أموالهم وقد كانوا آنف شيء وأشده حمية فلو علموا أن الإتيان بمثله في قدرتهم لبادروا إليه لأنه كان أهون عليهم [٢]

وللنبي صلى الله عليه وسلم سوى القرآن معجزات شتى، فمنها الإسراء والمعراج، ومنها انشقاق القمر، ومنها.

فضلا عن معجزات أخرى كان يراه المؤمنون به صلى الله عليه وسلم دون من سواهم، كنبع الماء من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم.

ومعجزاته صلى الله عليه وسلم أكثر من معجزات إخوانه الأنبياء، وقد أعطي أفضل مما أعطوه صلوات الله عليهم، نقل الحافظ ابن كثير عن البيهقي عن: قال عمرو بن سواد، قال لي الشافعي: ما أعطى الله نبيا ما أعطى محمدا صلى الله عليه وسلم، فقلت له: أعطى عيسى إحياء الموتى، فقال: أعطى محمدا

---

(١)إعجاز القرآن للباقلاني (ص: ١٤)

(٢)الإتقان في علوم القرآن (٤/ ٥)

الجذع الذي كان يخطب إلى جنبه حتى هيئ له المنبر، فلما هيئ له المنبر حن الجذع حتى سمع صوته، فهذا أكبر من ذلك (١)

ومن الأدلة أيضا على صدق الرسل:

١- شهادة الله تعالى لهم بالصِّدق والصِّديقيَّة:

فقد شهد الله تعالى لهم بالصدق، وكفى بالله شهيدًا: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ﴾ [الزمر: ٣٣]

٢- تأييد الله لهم على دَعواهم الرسالة بالحجج الشرعيَّة والآيات الكونيَّة، كالكتب المنزلة عليهم، والآيات التي جاؤوا بها؛

٣- ما أخَذ الله به المكذِّبين للرُّسل عليهم الصلاة والسلام من ألوان العُقوبات التي جعلَتْهم للمُعتَبرِين من أبلغ العظات.

٤- أنَّهم أحسنُ الناس طريقةً، وأصدقهم لهجةً، وأكثرهم وَقارًا، وأبعدهم عن الطيش، وأزهدهم في المال والجاه، وأصبرهم على البَلايا والشدائد، وأعدلهم حُكمًا، فما جاروا في حُكمٍ على عدوٍّ، ولا شهدوا بغير الحق لصديق.

٥- مُعاداتهم لقَراباتهم وأرحامهم المخالِفين لهم من أجْل ربهم، فآثَروا الحقَّ على الخلق، فترَكُوا مناهج الآباء وما عليه العشيرة، فوقعوا من أجل ذلك في المخوف، وصبَرُوا على الحتوف.

٦- إجماع مَوالِيهم وعُقَلاء أعدائهم على أنَّ الرسل والأنبياء عليهم السلام كانوا أعقلَ الناس، وأوقرَ الخلق، حتى اعترف عُقَلاء الكفَّار بحُسن تدبيرهم وسَدادهم، وأنهم جاؤوا بشَرائع حكيمة استمالوا بها خَلائق ودانتْ لهم بها عَوالِم.

٧- تحقق أغراضهم وأهدافهم بالنصر والعواقب الحسَنة، فإنَّ الرسل تُبتَلى ثم تكون لهم العاقبة، وهكذا لهم أحسن العَواقِب وأكرم الجزاء في الآخِرة؛ قال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ (٢)

العنصر الثاني: الفرق بين الآية والمعجزة، والكرامة، والأحوال الشيطانية، والسحر:

الأشياء السابقة تتداخل في كونها تجري على غير المألوف من حياة البشر، فلذا لا بد من بيان كل واحدة والفرق بينها وبين الأخرى.

تعريف الآية والمعجزة:

الآية: كل علامة يتبين بها صدق المدعي، ي العلامة الظاهرة، وحقيقته لكل شيء ظاهر، وقيل: الآيات إشارة إلى الأدلة (١)

---

(١)البداية والنهاية ط الفكر (٦/ ١٣٢)

(٢)https://www.alukah.net/sharia/0/106084/ بتصرف.

تعريف المعجزة:

معجزات الأنبياء هي الآيات التي أعجزوا بها البشر أن يأتوا بمثلها والله تعالى يسميها آيات، وهي علامات دالة على صدق الرسل صلوات الله وسلامه عليهم فيما جاؤوا به من الرسالة.

المعجزة لغة: اسم فاعل مأخوذة من العجز المقابل للقدرة، وفي القاموس: معجزة النبي ما أعجز به الخصم عند التحدي، والهاء للمبالغة [٢]

المعجزة اصطلاحا:

قيل: فعل خارق للعادة، مقترن بالتحدي، سليم عن المعارضة، يتنزل منزلة التصديق بالقول من حيث القرينة، وهو منقسم إلى خرق المعتاد، وإلى إثبات غير المعتاد [٣]

وقيل: أمر خارق للعادة؛ أي جار على خلاف العادة الكونية التي أجراها الله تعالى في الكون سالم عن المعارضة يظهره الله تعالى على يد الرسول تأييدا له [٤].

وقيل: هي ما خرق العادة من قول أو فعل إذا وافق دعوى الرسالة وقارنها وطابقها على جهة التحدي ابتداء بحيث لا يقدر أحد عليها ولا على مثلها، ولا على ما يقاربها [٥]

هل يعبر عن الخوارق الخاصة بالأنبياء بآية أم معجزة؟

قال ابن عثيمين: التعبير بآية فيما يظهر من خوارق العادات على أيدي الأنبياء أولى من التعبير بالمعجزة لوجهين:

الوجه الأول: أن ذلك هو التعبير القرآني، والتعبير النبوي، حتى إن الله عزَّ وجل جعل الآية فيما دون ذلك: ﴿وءاية لَّهم أنَّا حملنا ذريَّتهم في الفلك المشحون﴾ [يس: ٤١]. وقال: ﴿أولم يكن لَّهم ءايةً أن يعلمه علماؤا بني إسرائيل﴾ [الشعراء: ١٩٧].

والوجه الثاني: أن المعجزة قد تقع من غير نبي، قد تقع من ساحر ومستخدم للشياطين، فلهذا كان التعبير بالآية أولى لهذين الوجهين [٦]

تعريف الكرامة:

---

(١)المفردات في غريب القرآن (ص: ١٠١)، فتح ذي الجلال والإكرام (٣/ ٤٨٩)

(٢)القاموس المحيط (ص: ٥١٦)، ولوامع الأنوار البهية (٢/ ٢٨٩)

(٣)الملل والنحل (١/ ١٠٢)، ولوامع الأنوار البهية (٢/ ٢٩٠)، شرح الطحاوية (ص: ٥٠٧)

(٤)مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (٥/ ٣٠٣)

(٥)لوامع الأنوار البهية (٢/ ٢٩٠)

(٦)فتح ذي الجلال والإكرام بشرح بلوغ المرام ط المكتبة الإسلامية (٣/ ٤٨٩)

الكرامة: "أمر خارق للعادة غير مقرون بدعوى النبوة ولا هو مقدمة، يظهر على يد عبد ظاهر الصلاح، ملتزم لمتابعة نبي كلف بشريعته مصحوب بصحيح الاعتقاد والعمل الصالح، علم بها ذلك العبد الصالح أم لم يعلم (١)

وهي: علامات يجريها الله عز وجل على يد عبد صالح من أولياء الله وأولياء الله هم المؤمنون المتقون (٢)

من أمثلة الكرامة:

ما روي أن عمر، رضي الله عنه خطب يوما بالمدينة فقال: يا سارية بن زنيم الجبل، من استرعى الذئب فقد ظلم، قال: فقيل له: تذكر سارية وسارية بالعراق؟ فقال الناس لعلي: أما سمعت عمر يقول: يا سارية وهو يخطب على المنبر، فقال: ويحكم دعوا عمر فإنه ما دخل في شيء إلا خرج منه، فلم يلبث إلا يسيرا حتى قدم سارية فقال: سمعت صوت عمر فصعدت الجبل [٣].

لكن نؤكد أن إطلاق المعجزة على خوارق الأنبياء والكرامة على خوارق الأولياء معنيان اصطلاحيان ليسا موجودين في الكتاب والسنة وإنما اصطلح عليهما العلماء فيما بعد وإن كانا في مدلولهما يرجعان إلى ما تقرر في النصوص من الحق [٤].

السحر:

من الأمور التي لا تجري على مألوف البشر السحر

والسحر لغة: هو الأخذة، وكل ما لطف مأخذه ودق فهو سحر، والسحر أيضا: البيان في فطنة كما جاء في الحديث أنه صلى الله عليه وسلم قال: "إن من البيان لسحرا"

: وأصل السَّحر: صرف الشي عن حقيقته إلى غيره فكأن الساحر لما أرى الباطل في صورة الحق وخيّل الشيء على غير حقيقته قد سحر الشيء عن وجهه أي صرفه.

السحر اصطلاحا: هو كل ما فيه مخادعة أو تأثير في عالم العناصر نتيجة الاستعانة بغير الله من شيطان أو نحوه، يشبه الخارق للعادة وليس فيه تحد يمكن اكتسابه بالتعلم [٥].

وعرفه الشيخ الفوزان بقوله: عبارة عن عزائم ورُقى وعُقد يؤثر في بدن المسحور بالقتل أو بالمرض، أو بالإخلال بعقله، أو يفرِّق بين الزوجين، أو يأخذ الزوج عن زوجته فلا يستطيع الوصول إليها، قال تعالى: ﴿وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ (٤)﴾ يعني: السواحر [٦].

---

(١)لوامع الأنوار البهية (٢/ ٣٩٢)

(٢)شرح رياض الصالحين (٤/ ٦٥٢)

(٣)كرامات الأولياء للالكائي (٩/ ١٢٨)

(٤)أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة (ص: ٢٠٣

(٥)مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

(٦)إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد (١/ ٣٤٣)

أنواع السحر:

١- السحر حقيقي: يؤثر في بدن المسحور، ولكنه لا يؤثِّر إلاَّ بإذن الله القدريّ، كما قال تعالى: ﴿وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ﴾، أي: إذن الله القدريّ الكونيّ.

٢- السحر التخييلي، ليس له حقيقة، وإنما هو خيال وشعوذة، وهو ما يسمّى بالقُمْرة، فالساحر يخيّل للناس شيئاً وهو ليس حقيقة، كأن يخيِّل للناس أنه دخل في النار، وليس كذلك، أو يخيِّل للناس أنه يمشي على حبل، وهو ليسق كذلك، أو يخيِّل للناس أن السيارة تمشي على بطنه، وليس كذلك، أو يخيِّل للناس أنه يطعن نفسه بالسلاح ولا يؤثِّر فيه، وليس كذلك، والحقيقة أنه عمل شيئاً من التخيل والقُمْرة فأثر على الأبصار. كما قال الله تعالى في قوم فرعون: ﴿سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾ (١)

من أنواع السحر:

١- سحر الكلدانيين وأهل بابل وغيرهم، وهؤلاء كانوا قوما صابئين يعبدون الكواكب السبعة ويعتقدون أنها المدبرة للعالم وأن حوادث العالم كلها من أفعالها، ومنها يصدر كل مظهر خير وشر، وقد بعث الله إليهم إبراهيم عليه السلام مبطلاً لمقالتهم.

٢- سحر الطلاسم: وهو عبارة عن نقش أسماء خاصة لها تعلق بالأفلاك والكواكب – على زعم أهلها – في جسم من المعادن أو غيرها تحدث به خاصية ربطت في مجاري العادات، ولا بد مع ذلك من نفس صالحة لهذه الأعمال فإن بعض النفوس لا تجري الخاصية المذكورة على يده

وهذا النوع من السحر يحصل في الغالب إما من محتال ذكي مع مغفل فنتيجة تصديقه يحصل الشعور النفسي بتأثيره. وأما من صاحب علاقة بالشياطين.

٣- النظر في حركات الأفلاك ودورانها وطلوعها وغروبها واقترابها وافتراقها معتقدين أن لكل نجم منها تأثير حال انفراده كما أن له تأثيراً حال اجتماعه بغيره.

٤- النظر في منازل القمر الثمانية والعشرين معتقدين التأثير، في اقتران القمر بكل منها ومفارقته وان في تلك المقارنة أو المفارقة سعوداً أو نحساً أو تأليفا أو تفريقاً وغير ذلك (٢).

الأحوال الشيطانية:

وهي تجري على طواغيت وأولياء الشياطين الذين يدعون أنهم أولياء ويلعبون بعقول السفهاء وعقول العامة،

(١)إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد (١/ ٣٤٤)

(٢)مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

قال شيخ الإسلام: (كان مع مسيلمة الكذاب من الشياطين من يخبره بالمغيبات ويعينه على بعض الأمور مثل الحارث الدمشقي الذي خرج بالشام زمن عبد الملك بن مروان وادعى النبوة، وكانت الشياطين تخرج رجليه من القيد، وتمنع السلاح أن ينفذ فيه، وتسبح الرخامة إذا مسحها بيده، وكان يرى الناس رجالا وركبانا على خيل في الهواء ويقول: هي الملائكة، وإنما كانوا جنا، ولما أمسكه المسلمون ليقتلوه طعنه الطاعن بالرمح فلم ينفذ فيه. فقال له عبد الملك: إنك لم تسم الله فسمى الله فطعنه فقتله) (١)

قال شارح الطحاوية في الخوارق: (الخارق: إن حصل به فائدة مطلوبة في الدين، كان من الأعمال الصالحة المأمور بها دينا وشرعا، إما واجب أو مستحب، وإن حصل به أمر مباح، كان من نعم الله الدنيوية التي تقتضي شكرا، وإن كان على وجه يتضمن ما هو منهي عنه نهي تحريم أو نهي تنزيه، كان سببا للعذاب أو البغض) (٢)

(١)الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان (ص: ١٦٨- ١٦٩)

(٢)شرح الطحاوية (ص: ٥٠٨)

الدرس الثالث عشر : أصل دين الأنبياء واحد

عناصر الدرس الثالث عشر : أصل دين الأنبياء واحد

- العنصر الأول : ظهور الشرك في الخلق :
- العنصر الثاني : أصل دين الأنبياء :

أهداف الدرس الثالث عشر : أصل دين الأنبياء واحد

- في نهاية هذا الدرس يكون الطالب قادرا على :
- التعرف على كيف ظهر الشرك في الخلق
- الانتباه بأن أصل دين الأنبياء واحد
- تحديد ما يترتب على اتفاق دعوة الرسل

العنصر الأول: ظهور الشرك في الخلق:

خلق الله تعالى الناس من أصل واحد، وجعل غرض خلقهم أحد أسئلة المصير التي حدد لها جوابا شافيا، فقال سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، وهناك وظلت البشرية منذ خلقها الله تعالى سائرة على نهجه عاملة بشريعته، إلى أن فشا فيهم الانحراف رويدا رويدا، حتى صار الخلق في دركات من البعد عن طريق الله تعالى والنفرة عن شرائعه بمكان قصي

وقد ظهر في الخلق عبادة الكواكب والأشجار والأحجار، وعبادة الصور والبشر، بل عبد بعض البشر الشياطين وأحلوهم بمحل التقديس.

من هنا كانت الشرائع الإلهية تبشر الناس وتنذرهم بالمصير وتدعوهم للعودة إلى دين الله تعالى

نحاول أن نعرض هنا خط الانحراف، وأصل دين الأنبياء.

وكان الناس في أصل وجودهم على هذه الأرض أمّة واحدة تنحدر من نسب واحد، وكانوا على الإسلام دين أبيهم آدم– عليه السلام– فاختلفوا على هذا الدين وتفرقّوا، فبعث الله النبيين علَيهم السلام ليبينّوا للناس الطريق المستقيم الموصل إلى رضا الله تعالى، مبشرين من اتبعه بالسعادة، ومنذرين من حاد عنه بالشقاء، قال تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْياً بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾. (البقرة: ٢١٣).

قال ابن عباس– رضى الله عنهما: كان بين نوح وآدم عشرة قرون كلهّم على شريعة من الحق فاختلفوا فبعث الله النبيّين مبشرين ومنذرين [١]

إن عقيدة التوحيد أقدم في تاريخ البشرية من العقائد الوثنية جميعاً، ذلك أنها وجدت كاملة منذ اللحظة الأولى، لأنها ليست نابعة من أفكار البشرية كما يرى أَصحاب مذهب التطور، وإنما هي فطرة الله التي فطر عباده عليها، فقد خلقهم حنفاء؛ كما في الحديث القدسي: ((وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم،...الحديث»[٢]، هذا ما قرره القرآن الكريم، وعليه التصور الإسلامي، فقد أهبط الله عز وجل آدم عليه السلام إلى الأرض ليقوم فيها بالخلافة التي اختاره الله للقيام

---

(١)مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة (٣٠/ ١٥)

(٢) أخرجه مسلم، كتاب صفة الجنة والنار، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار، برقم (٢٨٦٥)

بها، بعد أن تلقى كلمات من ربه فتاب عليه وأخذ عليه العهد والميثاق أن يتبع ما يأتيه من هدى الله، وأن لا يتبع الشيطان فيضله عن سبيله. قال تعالى: ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعاً فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدىً فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ. وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (البقرة الآية: ٣٨، ٣٩).

بدأ الانحراف في العقيدة، في أولئك القوم الذين بعث الله فيهم سيدنا نوح عليه الصلاة والسلام، بعد أن زين لهم الشيطان عبادة الأصنام، والأوثان، بسبب الغلو في الصالحين [١]

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعد أما ود فكانت لكلب بدومة الجندل وأما سواع فكانت لهذيل وأما بن يغوث فكانت لمراد ثم بنى غطيف بالجرف عند سبأ وأما يعوق فكانت لهمدان وأما نسر فكانت لحمير لآل ذي كلاع أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم: أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصابا وسموها بأسمائهم ففعلوا، فلم تعبد حتى إذا هلك أولئك وتنسخ العلم عبدت [٢]

وما كان عليه حال قوم نوح هي نفس الحال التي ارتكس فيها الناس بعد ذلك من الغلو ومجاوزة الحد، واتباع الهوى الذي أودى بالناس إلى عبادة غير الله – سبحانه وتعالى –، وأخطر هذه الأسباب هو الغلو الذي حذر الله منه في غير ما آية من كتابه [٣]

فالتوحيد هو الأصل في البشر، وليس ناشئا من عملية تطور انتقل الناس منها من حالة لحالة.

العنصر الثاني: أصل دين الأنبياء:

لا مراء أن الأنبياء كلهم أصحاب رسالة تتفق وتتحد في العقيدة التي يدعون إليها، فقد قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]

وقد جاء القرآن الكريم يذكر عما كلف به ألو العزم من المرسلين، وعن مهمتهم مع أقوامهم قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾ (الشورى:١٣). تلك دعوة الأنبياء جميعاً وعلى رأسهم أولوا العزم منهم، يسيرون في دعوتهم في منهج واحد، وينطلقون من منطلق واحد، هو التوحيد، أعظم القضايا والمبادئ التي حملوها إلى الإنسانية جميعا في جميع أجيالهم ومختلف بيئاتهم وبلدانهم وأزمانهم.

---

(١) مجلة البحوث الإسلامية (١١/ ١٧٣)

(٢)أخبار مكة للفاكهي (٥/ ١٤١)

(٣)مجلة البحوث الإسلامية (١١/ ١٧٤)

مما يدل على أن هذا هو الطريق الوحيد الذي يجب أن يسلك في دعوة الناس إلى الله، وسنة من سننه التي رسمها لأنبيائه واتباعهم الصادقين، لا يجوز تبديلها ولا العدول عنها

إن كل نبي جاء بهذا الدين الواحد في أصله، الذي يقوم على القاعدة الأصلية: قاعدة التوحيد المطلق... ثم يقع الانحراف عقب كل رسالة، وتتراكم الخرافات والأساطير حتى يبتعد الناس نهائيا عن ذلك الأصل الكبير، وهنا تجيء رسالة جديدة، تجدد العقيدة الأصيلة، وتنفي ما علق بها من الانحرافات وتراعي أحوال الأمة وأطوارها في التفصيلات [١].

وعلى هذا جاءت دعوة المرسلين أجمعين قال الله تعالى في شأن سيدنا نوح مع قومه: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٥٩]

وقال في شأن سيدنا هود عليه السلام: ﴿وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [الأعراف: ٦٥]

وقال في شأن سيدنا صالح عليه السلام: ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٧٣]

وفي شأن سيدنا شعيب: ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٨٥]

وفي الصحيح عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم في الدنيا والآخرة، والأنبياء إخوة لعلات، أمهاتهم شتى ودينهم واحد**» [٢]

وهكذا جاء الرسل والأنبياء- عليهم الصلاة والسلام- من عند مرسل واحد- سبحانه- بكلمة واحدة هي كلمة التوحيد، ودعوة واحدة هي دعوة التوحيد، فالتوحيد هو قاعدة كل ديانة جاء بها من عند الله رسول [٣]

إن التوحيد هو مفتاح دعوة الرسل، وهو أول ما يدخل به المرء في الإسلام وآخر ما يخرج به من الدنيا، فهو أول واجب وآخر واجب

فينبغي على ضوء هذا أن يكون متقرّرا لدى كلِّ مسلم وواضحا لدى كلِّ مؤمن أنَّ العقيدة لا مجال فيها للرأي والأخذ والعطاء، وإنَّما الواجب على كلِّ مسلم في مشارق الأرض ومغاربها أن يعتقد عقيدة الأنبياء والمرسلين، وأن يؤمن بالأصول التي آمنوا بها ودعوا إليها دون تشكُّكٍ أو تردُّدٍ، ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ

(١)مجلة البحوث الإسلامية (١٦/ ٣١١

(٢) أخرجه البخاري، برقم (٣٤٤٣)

(٣)مجلة البحوث الإسلامية (١٦/ ٣٠٧

إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥][١]

ما يترتب على اتفاق دعوة الرسل:

أن الرسل -عليهم صلوات الله وسلامه- لما كانت دعوتهم واحدة وهي: (لا إله إلا الله) صار مكذب واحد منهم مكذباً لجميعهم [٢]، ولذا جاءت الشريعة بجعل الإيمان بالرسل لا يتجزأ، قال الله تعالى:

﴿كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾ [البقرة: ٢٨٥]

فمن آمن بالأنبياء، وكفر بنبي واحد فقد كفر بجميع الأنبياء، ولم يصح له إيمان

(١)أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة (ص: ٥)

(٢)مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة (٥/ ٢٠٠،

الدرس الرابع عشر: أدلة ثبوت نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، والرد على الشبهات حولها

عناصر الدرس الرابع عشر: أدلة ثبوت نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، والرد على الشبهات حولها

- العنصر الأول: النبي الخاتم:
- العنصر الثاني: موقف أهل الكتاب من دعوة الرسول الكريم:
- العنصر الثالث: دلائل صدق النبي الكريم وأدلة ثبوت نبوته:
- العنصر الرابع: شبهات حول نبوة النبي صلى الله عليه وسلم:

أهداف الدرس الرابع عشر: أدلة ثبوت نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، والرد على الشبهات حولها

- في نهاية هذا الدرس يكون الطالب قادرا على
- التعرف على موقف أهل الكتاب من دعوته صلى الله عليه وسلم
- تحديد دلائل صدق النبي صلى الله عليه وسلم وأدلة ثبوت نبوته
- استخلاص بشارات من سبقه من النبيين به صلى الله عليه وسلم
- الانتباه بأثر الداخلين في الإسلام من أهل الملل الأخرى.
- تحديد الشبهات التي قالها بعضهم حول نبوة النبي صلى الله عليه وسلم
- التعرف على م ما طعن به كفار مكة في نبوة النبي صلى الله عليه وسلم

العنصر الأول: النبي الخاتم:

لقد من الله تعالى على البشرية كلها بأن أرسل فيهم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وجعل البشرية التي كان على حافة السقوط والأخذ تستفيق مرة أخرى، وتعود إلى السنن القويم، وتفيئ إلى ربها، وإنما تبقى الأرض كما قال شيخ الإسلام: ما دامت آثار الرسل موجودة فيهم فإذا درست آثار الرسل من الأرض، وانمحت بالكلية خرب الله العالم العلوي والسفلي وأقام القيامة (١).

وقبل بعثته صلى الله عليه وسلم ماجت الأرض بأنواع من الرزايا والبلايا الماحقة، وانحرفت الأمم عن الهدي.... صحيح أن البشر كلهم لم يكون على الدين طوال التاريخ، لكن لا بد من وجود من يسبح الله عليها، ويخشاه حق الخشية.

وقد مر حديث الصحيح من قوله صلى الله عليه وسلم: «... إن الله نظر إلى أهل الأرض، فمقتهم عربهم وعجمهم، إلا بقايا من أهل الكتاب، وقال: إنما بعثتك لأبتليك وأبتلي بك، وأنزلت عليك كتابا لا يغسله الماء، تقرؤه نائما ويقظان...الحديث» (٢).

قال شيخ الإسلام: وهذا المقت كان لعدم هدايتهم بالرسل، فرفع الله عنهم هذا المقت برسول الله صلى الله عليه وسلم فبعثه رحمة للعالمين ومحجة للسالكين وحجة على الخلائق أجمعين وافترض على العباد طاعته ومحبته وتعزيره وتوقيره والقيام بأداء حقوقه وسد إليه جميع الطرق فلم يفتح لأحد إلا من طريقه وأخذ العهود والمواثيق بالإيمان به واتباعه على جميع الأنبياء والمرسلين وأمرهم أن يأخذوها على من اتبعهم من المؤمنين. أرسله الله بالهدى ودين الحق بين يدي الساعة بشيرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا فختم به الرسالة؛ وهدى به من الضلالة؛ وعلم به من الجهالة وفتح برسالته أعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا فأشرقت برسالته الأرض بعد ظلماتها؛ وتألفت بها القلوب بعد شتاتها فأقام بها الملة العوجاء وأوضح بها المحجة البيضاء وشرح له صدره؛ ووضع عنه وزره؛ ورفع ذكره؛ وجعل الذلة والصغار على من خالف أمره أرسله على حين فترة من الرسل ودروس من الكتب حين حرف الكلم وبدلت الشرائع واستند كل قوم إلى أظلم آرائهم وحكموا على الله وبين عباده بمقالاتهم الفاسدة وأهوائهم فهدى الله به

---

(١) مجموع الفتاوى (١٩/ ١٠١)

(٢) أخرجه مسلم، كتاب صفة الجنة والنار، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار، برقم (٢٨٦٥)

الخلائق وأوضح به الطريق وأخرج به الناس من الظلمات إلى النور؛ وأبصر به من العمى؛ وأرشد به من الغي وجعله قسيم الجنة والنار وفرق ما بين الأبرار والفجار [(١)]

وقد وصف الله إرساله لسيدنا رسول الله بأنه كان رحمة للعالمين قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]

وفي المستدرك من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا أيها الناس إنما أنا رحمة مهداة» [(٢)].

وقد كانت بعثته صلى الله عليه وسلم نعمة عظمى، وإكرام أعظم للبشر، ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

ورغم ما كان من انتظار أهل الكتاب له، ومعرفتهم القاطعة بحلول زمانه إلا أنهم نابذوه العداء بكل سبيل، ووقفوا له بالمرصاد كلما حانت الفرصة، وتحينوا ما بوسعهم للتصدي له، ولمحاولة النيل من شخصه صلى الله عليه وسلم.

العنصر الثاني: موقف أهل الكتاب من دعوة الرسول الكريم:

لقد كان أهل الكتاب من اليهود والنصارى على علم بحلول زمان النبي صلى الله عليه وسلم، وقد صور القرآن هذا قال الله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٨٩]

وروى الإمام أحمد في مسنده، والحاكم في المستدرك عن سلمة بن سلامة بن وقش، وكان، من أصحاب بدر، قال: كان لنا جار من يهود في بني عبد الأشهل، قال: فخرج علينا يوما من بيته قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم بيسير، حتى وقف على مجلس بني عبد الأشهل، قال سلمة: وأنا يومئذ أحدث من فيه سنا، على بردة، مضطجعا فيها بفناء أهلي، فذكر البعث والقيامة والحساب، والميزان، والجنة، والنار فقال: ذلك لقوم أهل شرك، أصحاب أوثان، لا يرون أن بعثا كائن بعد الموت، فقالوا له: ويحك يا فلان ترى هذا كائنا؟ إن الناس يبعثون بعد موتهم إلى دار فيها جنة، ونار يجزون فيها بأعمالهم، قال: نعم، والذي يحلف به لود أن له بحظه من تلك النار أعظم تنور في الدنيا، يحمونه ثم يدخلونه إياه فيطبق به

(١)مجموع الفتاوى (١٩/ ١٠٢)

(٢)المستدرك على الصحيحين للحاكم (١/ ٩١)، قال الحاكم على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي

عليه، وأن ينجو من تلك النار غدا، قالوا له: ويحك وما آية ذلك ؟ قال: نبي يبعث من نحو هذه البلاد، وأشار بيده نحو مكة، واليمن، قالوا: ومتى تراه ؟ قال: فنظر إلي وأنا من أحدثهم سنا، فقال: إن يستنفد هذا الغلام عمره يدركه، قال سلمة: فوالله ما ذهب الليل والنهار حتى بعث الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم، وهو حي بين أظهرنا، فآمنا به وكفر به بغيا وحسدا، فقلنا: ويلك يا فلان ألست بالذي قلت: لنا فيه ما قلت ؟ قال: بلى. وليس به [١].

وروى البيهقي في الدلائل: عن صفية بنت حيي أنها قالت: لم يكن من ولد أبي وعمي أحد أحب إليهما مني، لم ألقهما قط مع ولد لهما أهش إليهما إلا أخذاني دونه، فلما قدم رسول الله قباء نزل قرية بني عمرو بن عوف غدا إليه أبي وعمي أبو ياسر بن أخطب، مغلسين، فوالله ما جاءانا إلا مع مغيب الشمس، فجاءانا فاترين كسلانين ساقطين يمشيان الهوينى، فهششت إليهما كما كنت أصنع، فوالله ما نظر إلى واحد منهما، فسمعت عمي أبا ياسر يقول لأبي: أهو هو؟ قال: نعم، والله. قال: تعرفه بعينه وصفته؟ فقال: نعم والله. قال: فماذا في نفسك منه؟ قال: عداوته والله ما بقي [٢]

ورغم هذا اليقين الذي كان عليه بعض من كان على بقية من كتاب درست معظم يقينياته، لكن ما بقي فيه كان فيه كفاية لأن يقبل عليه صلى الله عليه وسلم من كان يحب لقاء الله راضيا عنه، ولكن هناك من علم به علم اليقين ولكنه كفر وعاند حتى ضمه التراب كافرا.

ولقد كانت هناك دلائل على صدق النبي صلى الله عليه وسلم، وثبوت نبوته، لا تزال قائمة، ولا تزال تتحدى من يقترب من دعوته، أو يطعن في نبوته صلى الله عليه وسلم، وهي دلائل لا تخص زمان النبوة فقط، ولا تقتصر على فترة الوحي، بل هي على طول الزمن.

العنصر الثالث: دلائل صدق النبي الكريم وأدلة ثبوت نبوته:

لقد جعل الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم الحجة البالغة، وضمن لرسالته الخلود الدائم إلى أن يأذن بانمحاء الأرض، وانتهاء قصة الحياة من عليها، ولا تزال نبوته صلى الله عليه وسلم تتحدى الزمن، ولا

(١)مسند أحمد (٣/ ٤٦٧)، وأخرجه الحاكم في المستدرك: ٣/ ٤٧١، وقال على شرط مسلم، ووافقه الذهبي.
(٢)دلائل النبوة ـ للبيهقي (٢/ ٥٣٣)

يزال دينه غضا طريا، لا يمله من تشرب قلبه حبه، وتغلغل في صدره عقيدة التوحيد الصافية التي دعا إليها ككل من سبقه من إخوانه الأنبياء، أما أدلة ثبوت نبوته فهي كثيرة منها:

١– بشارات من سبقه من النبيين به صلى الله عليه وسلم

لقد بينت بعض الآيات صدق الرسول صلى الله عليه وسلم، وصدق ما جاء به، وهو أن من كان من بني إسرائيل يعلم بذلك، وهو علم مسجل محفوظ مكتوب في كتبهم التي يتداولونها قال تعالى: (أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ آيَةً أَن يَعْلَمَهُ عُلَمَاء بَنِي إِسْرَائِيلَ) [الشعراء: ١٩٧]

قد أخبرنا الله أنَّ خليل الرحمن إبراهيم وابنه إسماعيل كان يبنيان البيت الحرام ويدعوان، ومن دعائهما ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧-١٢٩].

وقد استجاب الله دعاء خليله إبراهيم وابنه نبيّ الله إسماعيل، وكان محمد صلى الله عليه وسلم هو تأويل تلك الاستجابة. ولا تزال التوراة الموجودة اليوم – على الرغم مما أصابها من تحريف – تحمل شيئاً من هذه البشارة، فنجد فيها أنَّ الله استجاب دعاء إبراهيم في إسماعيل، فقد ورد في التوراة في سفر التكوين في الإصحاح السابع عشر فقرة (٢٠): " وأمّا إسماعيل فقد سمعت لك فيه، ها أنا أباركه وأثمره، وأكثره كثيراً جداً، اثني عشر رئيساً يلد، وأجعله أمّة عظيمة كبيرة [١] ".

وقد أثنى الله تعالى على من آمن من أهل الكتاب، بما انقادوا له من الحق الذي وجدوه في كتبهم قال الله تعالى ك ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

٢– الداخلون في الإسلام من أهل الملل الأخرى.

فلقد دخل في الإسلام بعض اليهود كعبد الله بن سلام وغيره ن وإنما اشتهر أمر عبد الله بن سلام لما أنه كان حبرا ذا مكانة سامقة بين اليهود آنذاك، عن أنس رضي الله عنه، قال: بلغ عبد الله بن سلام مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فأتاه، فقال: إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي قال: ما

---

(١)الرسل والرسالات (ص: ١٦٣)

أول أشراط الساعة؟ وما أول طعام يأكله أهل الجنة؟ ومن أي شيء ينزع الولد إلى أبيه؟ ومن أي شيء ينزع إلى أخواله؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «خبرني بهن آنفا جبريل» قال: فقال عبد الله ذاك عدو اليهود من الملائكة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أما أول أشراط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب، وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد حوت، وأما الشبه في الولد: فإن الرجل إذا غشي المرأة فسبقها ماؤه كان الشبه له، وإذا سبق ماؤها كان الشبه لها " قال: أشهد أنك رسول الله، ثم قال: يا رسول الله إن اليهود قوم بهت، إن علموا بإسلامي قبل أن تسألهم بهتوني عندك، فجاءت اليهود ودخل عبد الله البيت، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أي رجل فيكم عبد الله بن سلام» قالوا أعلمنا، وابن أعلمنا، وأخيرنا، وابن أخيرنا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أفرأيتم إن أسلم عبد الله» قالوا: أعاذه الله من ذلك، فخرج عبد الله إليهم فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله، فقالوا: شرنا، وابن شرنا، ووقعوا فيه [(١)].

وفي هذا الزمن الذي بلغت في الحضارة شوطا كبيرا من الرقي، والوصول إلى درجات من الازدهار العلمي والتقني لا يزال الإسلام يتصدر قائمة الديانات الأسرع انتشارا بين الديانات، ولا يزال المقبلون على الإسلام من أصحاب المناصب والمفكرين، يبهر كل من يطَّلع على هذا السجل.

ولا شك أن هذا من أدل الدلائل على صدق دعوته صلى الله عليه وسلم، وأنها دعوة خالية من عوامل التحريف، أو مصادمة الفطر، أو مضادة العقول.

يقول واشنجتون ايرقنج: كانت تصرفات الرسول صلى الله عليه وسلم في أعقاب فتح مكة تدل على أنه نبي مرسل لا أنه قائد مظفر، فقد أبدى رحمة وشفقة على مواطنيه برغم أنه أصبح في مركز قوي، ولكنه توج نجاحه وانتصاره بالرحمة والعفو [(٢)].

ولقد كثرت شهادات الذين درسوا الإسلام بتجرد بعيدا عن الخلفيات المسبقة التي أسسها فيهم رجال الديانات المتعصبين، فكانت دراسة من درس بتجرد إما أنه خلع دينه القديم، وإما أقر للنبي صلى الله عليه وسلم بالرسالة التي لا يمكن أن تكون من خلجات نفسه، أو تصرفات عقله، إنما هي نور أتاه من الخالق سبحانه [(٣)]

٣- صدق الرسول صلى الله عليه وسلم قبل بعثته.

لقد عاش النبي صلى الله عليه وسلم حياة العرب، ولم يكن قد نزل عليه نور الوحي، لكنه عاش بين قومه يأكل طعامهم ويلبس ثيابهم ويشاركهم في مجتمعهم، بيد أنه لم يكن يتخلق إلا بأفضل الأخلاق، ولم يكن

(١) أخرجه البخاري، برقم (٣٣٢٩)

(٢) حياة محمد صلى الله عليه وسلم، ص٧٢، نقلا عن قالوا عن الإسلام، ص ٩٥

(٣) من المفيد مطالعة كتاب: قالوا عن الإسلام)

يشارك قومه قط في خلق مذموم، أو خلة ساقطة، بل تحلى بأحلى الصفات، وجميل الخلال، ويوم أن خطب أم المؤمنين خديجة خطب عمه في الثناء عليه – واثقا أن أحد لن يناقشه فيما قال -: (إن محمدا ممن لا يوازن به فتى من قريش إلا رجح به شرفا ونبلا وفضلا وعقلا) (١).

كان صلى الله عليه وسلم مثالا كاملا للأمانة وأداء الحقوق لأربابها، والصدق في الحديث، لم تحص عنه خيانة ولا كذبة قط، ولقد اشتهر بأمانته منذ صغره حتى لقب بالأمين (٢)

وكان مشهورا بين من يعرفه ومن لا يعرفه صلى الله عليه وسلم بأنه لا يكذب، وهذا ما استدل به هرقل على صحة ما جاء به، ففي الصحيح من مراجعة هرقل لأبي سفيان: ((سألتك، هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال، فذكرت أن لا، فقد أعرف أنه لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله)) (٣)

٤- الآيات القرآنية التي تثبت أن القرآن من عند الله، وليس من عند الرسول صلى الله عليه وسلم

فمن ذلك:

آيات العتاب التي نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم كقوله تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى﴾ [عبس: ١]

فلو كان القرآن من عند نفسه، ما وجه العتاب لنفسه، وما استدرك على فعله، كما قال الله تعالى له: ﴿يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ﴾ [التحريم: ١]

يقول الشيخ دراز في هذا وغيره: لو كانت هذه التقريعات المؤلمة صادرة عن وجدانه، معبرة عن ندمه ووخز ضميره حين بدا له خلاف ما فرط من رأيه. أكان يعلنها عن نفسه بهذا التهويل والتشنيع؟!

ألم يكن له في السكوت عنها ستر على نفسه واستبقاء لحرمة آرائه، بل هذا القرءان لو كان يفيض عن وجدانه لكان يستطيع عند الحاجة أن يكتم شيئا من ذلك الوجدان، ولو كان كاتما شيئا لكتم أمثال هذه الآيات. ولكنه الوحي لا يستطيع كتمانه (٤)

٥- الآيات والمعجزات التي ظهرت على يديه صلى الله عليه وسلم

فقد ظهر على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم عدد هائل من المعجزات، بعضها شاهده من آمن ومن لم يؤمن، وبعضها شاهدها المؤمنون من أصحابه صلى الله عليه وسلم، وقد ذكر ابن القيم أن ما ظهر على يديه صلى الله عليه وسلم، من أنواع المعجزات والكرامات ما يزيد على الألف معجزة وآية (٥)

٦- انتظار الوحي للجواب عن أسئلة طلب الآخرون الإجابة عليها.

(١)الروض الأنف ت الوكيل (٢/ ٢٣٨)

(٢)السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة (٢/ ٦٦٢)

(٣) متفق عليه.

(٤)النبأ العظيم (ص: ٢٥)

(٥)هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى (ص: ٨٨) بتصرف

فقد سأله اليهود عن أسئلة، فلم يجب عليها حتى أتاه الوحي من ربه، ولم يبادر بالجواب عما سألوا، ولم يتكلم فيها بشيء، ولو كان كاذبا أو مخرقا – وحاشاها – صلى الله عليه – ما توقف عن جواب مسألة، وما تلكأ في تفسير موقف، بل قد نزل عليه من ربه إبراء لساحته من التقول على الله، وبيان جزاؤه إن فعل – وحاشاه – قال الله تعالى: نافيا عن الاختلاق، أو الجواب عما لم يتلق علمه من الله تعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ (٤٤) لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ (٤٥) ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ (٤٦) فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾ [الحاقة: ٤٤ – ٤٧]

لقد كان صلى الله عليه وسلم يجيئه الأمر أحيانا بالقول المجمل أو الأمر المشكل الذي لا يستبين هو ولا أصحابه تأويله حتى ينزل الله عليهم بيانه بعد. فأي عاقل توحي إليه نفسه كلاما لا يفهم هو معناه، وتأمره أمرا لا يعقل هو حكمته؟ أليس ذلك من الأدلة الواضحة على أنه ناقل لا قائل، وأنه مأمور لا آمر [1].

٧– إخباره صلى الله عليه وسلم بالغيب الماضي والمستقبل

من أدلة صدق النبي صلى الله عليه وسلم إخباره بالغيب سواء كان غيباً لاحقاً أو سابقاً أو حاضراً فقد أخبر صلى الله عليه وسلم بفتح القسطنطينية والحيرة ومصر وفارس والروم وبيت المقدس، وأخبر بخروج كثير من الفرق كالخوارج والقدرية، وبشر كثير من الصحابة بالجنة فماتوا على الإيمان، وبشر الكثير بالنار فماتوا على الكفر، وأخبر بكثير من أشراط الساعة الصغرى وقد تحققت.

وفي الغيب الماضي عن السابقين من المرسلين يقول الله تعالى في كتابه: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا﴾ [هود: ٤٩].

ولما قص في القرآن ما كان من أمر مريم عليها السلام ونبي الله زكريا وما آل إليه أمر كل منهما قال عز من قائل: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ [آل عمران: ٤٤].

٨– أمية النبي صلى الله عليه وسلم المتفق عليها بين من يعرفه ومن لم يعرفه.

ودلالة الأمية على كونه رسولا، كونه صلى الله عليه وسلم لم يلق قبل إعلان نبوته أحدا من العلماء فجلس إليه يستمع من حديثه عن علوم الدين شيئا، ولقد حاول أهل مكة أن ينسبوا ما عند رسول الله لمعلم، فناقشهم القرآن في دعواهم، وردها أشد الرد، ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ [النحل: ١٠٣]

وقال سبحانه: ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٨]

---

(١)النبأ العظيم (ص: ٢٨)

فما كان النبي صلى الله عليه وسلم يعرف الكتابة ولا القراءة، بل ما كان يعرف نظم الشعر، وما جاء به صلى الله عليه وسلم لا يمكن لرجل لم يقرأ كتابا ولم يجلس إلى معلم أن يأتي به بهذا الإعجاز.

٩- أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم دليل صدق رسالته

لقد بلغت أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم الذروة في الكمال والجمال، وما تخل صلى الله عليه وسلم إلا بالفاضل منها، ولقد كانت أخلاقه صلى الله عليه وسلم سببا في يقين كثير ممن رفض دعوته أولا ثم انقاد لها بعدما رأى أن الأخلاق التي كان عليها صلى الله عليه وسلم لا تتأتى لبشر

قال صفوان بن أمية رضي الله عنه: صفوان قال: «والله لقد أعطاني رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أعطاني، وإنه لأبغض الناس إلي، فما برح يعطيني حتى إنه لأحب الناس إلي» [١]،

وفي مغازي الواقدي: أنه طاف مع النبي صلى الله عليه وسلم والنبي صلى الله عليه وسلم يتصفح الغنائم إذ مر بشعب مما أفاء الله عليه، فيه غنم وإبل ورعاؤها مملوء. فأعجب صفوان وجعل ينظر إليه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أعجبك يا أبا وهب هذا الشعب؟ قال: نعم. قال: هو لك وما فيه. فقال صفوان: أشهد ما طابت بهذا نفس أحد قط إلا نبي، وأشهد أنك رسول الله [٢].

أما تحمله الأذى، وصفحه عند المقدرة، وعفوه عمن آذاه وبالغ في النيل منه فمما يملأ الصحائف.

وأما مع خادمه ومع رقيقه وغيرهم فمما اشتهر بين الناس كافة.

ثم عدله بين نسائه، واحتماله منهن ما جبلت عليه طبائع النساء، وصبره صلى الله عليه وسلم على ما بدر منهن بحكم الطبيعة عن عائشة -رضي الله عنها- مرفوعاً: «ما ضرب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- شيئا قَطُّ بيده، ولا امرأة ولا خادما، إلا أن يجاهد في سبيل الله، وما نِيل منه شيء قَطُّ فينتقم من صاحبه، إلا أن ينتهك شيء من محارم الله تعالى، فينتقم لله تعالى».[٣]

يقول الكاتب الغربي ول ديورانت في حديث عن سيدنا رسول الله: لم يتعاط الخمر التي حرمها هو على غيره، وكان لطيفا مع العظماء، بشوشا في أوجه الضعفاء، عظيما مهيبا أمام المتعاظمين المتكبرين، متسامحا مع أعوانه، يشترك في تشييع كل جنازة تمر به، ولم يتظاهر قط بأبهة السلطان. وكان يرفض أن يوجه إليه شيء من التعظيم الخاص، يقبل دعوة العبد الرقيق إلى الطعام، ولا يطلب إلى عبد أن يقوم له بعمل يجد لديه من الوقت والقوة ما يمكنانه من القيام به لنفسه. ولم يكن ينفق على أسرته إلا القليل من

---

(١) أخرجه مسلم: برقم (٢٣١٣)

(٢)مغازي الواقدي (٣/ ٩٤٦)

(٣) رواه مسلم

المال رغم ما كان يرد إليه من الفيء وغيره من الموارد، أما ما كان ينفقه على نفسه فقد كان أقل من القليل. وكان يخص الصدقات بالجزء الأكبر من هذا المال [(١)]

ثم يقول: (كانت بلاد العرب لما بدأ الدعوة صحراء جدباء، تسكنها قبائل من عبدة الأوثان، قليل عددها متفرقة كلمتها، وكانت عند وفاته أمة موحدة متماسكة. وقد كبح جماح التعصب والخرافات، وأقام فوق اليهودية والمسيحية، ودين بلاده القديم، دينا سهلا واضحا قويا، وصرحا خلقيا قوامه البسالة والعزة القومية. واستطاع في جيل واحد أن ينتصر في مائة معركة، وفي قرن واحد أن ينشئ دولة عظيمة، وأن يبقى إلى يومنا هذا قوة ذات خطر عظيم في نصف العالم) [(٢)]

العنصر الرابع: شبهات حول نبوة النبي صلى الله عليه وسلم:

لم تسلم دعوة النبي صلى الله عليه وسلم من التشكيك والاستغراب بين من ظهرت بينهم من كفار العرب ن ومن عايشها من أهل الكتاب، ثم ما تزال الشبهات تلوكها الألسنة جيلا بعد جيل، كلما مضى جيل وتطورت الحياة جاء الخالفون بما لم يكن في استطاعة السابقين قوله في نبوته صلى الله عليه وسلم.

ولئن كانت هناك معجزات أنكرها أهل مكة في هذا الزمان، فإن الأزمنة الحاضرة لا يسعها أن تنكر هذه المعجزات، لأن تطورات الزمن أصبحت قاضية بإمكانها، وذلك كمعجزة الإسراء والمعراج، فلقد نفاها وشكك فيها العرب الأقدمون بناء على ما وصلت إليه فهومهم وتجاربهم الخاصة في قطع المسافات، وأنها لا تقطع بهذا اليسر، أما وقد جاء العصر الحديث بالناقلات العملاقة، فصار إنكار الإسراء مما لا يتأتى أبدا.

من أهم ما طعن به كفار مكة في نبوة النبي صلى الله عليه وسلم التالي:

١- كونه صلى الله عليه وسلم بشرا

فإن أهل مكة تعجبوا من كون الرسول بشرا، ولقد ناقشهم القرآن في هذه الدعوى مناقشة كبيرة، وردها عليهم قال الله تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا﴾ [الإسراء: ٩٤]

وهذه الفرية لا تخص النبي صلى الله عليه وسلم، بل هي سارية في البشر أجمعين، يتناقلها كل من حاول رد دعوة المرسلين.

فقد قال الله تعالى في قوم ثمود: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ (٢٣) فَقَالُوا أَبَشَرًا مِنَّا وَاحِدًا نَتَّبِعُهُ إِنَّا إِذًا لَفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ﴾ [القمر: ٢٣، ٢٤]

وقال غيرهم: ﴿وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَخَاسِرُونَ﴾ [المؤمنون: ٣٤]

---

(١)قصة الحضارة (١٣/ ٤٥)

(٢) المرجع السابق (١٣/ ٤٧)

ثم رد عليهم أمرهم بأن الأمر سيختلط عليهم، لأنهم لن يتحملوا رؤية الملك، وأنه لو كان مرسلا لما استطاعوا إلا أن يروه في صورة واحد منهم، قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ﴾ [الأنعام: ٩]

وقد عابوا على النبي معايشته للناس، وكونه واحدا منهم يأكل كما يأكلون: ﴿وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ٧]

ورد الله عليهم ذاك بقوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾ [الفرقان: ٢٠]

وهذا الوهم سرى فيمن لحق من الناس: فأصبح بعضهم ينظر إلى البشرية من الزاوية التي نظر منها المشركون فكان المشركون يتحقرون البشرية ويرون استحالة اجتماع البشرية والرسالة وأن الإنسان لا يمكن أن يرتفع إلى مستوى يؤهله لتلقي الوحي من الله [(١)]

لقد جرت سنة الله تعالى أن يكون الرسول من جنس من يرسل إليهم لا خارجا عنهم، قال الله تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا (٩٤) قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا﴾ [الإسراء: ٩٤، ٩٥] [(٢)]

أما إرسال الرسل عامة من البشر، والنبي صلى الله عليه وسلم خاصة؛ فلأن ذلك أكمل في إقامة الحجة؛ لكونهم من جنسهم يستطيعون التفاهم معهم، وسؤالهم عما يهمهم، ويتمكنون من فهم كلامهم [(٣)].

٢- الادعاء بكونه ساحرًا وكاهنًا:

وإنما نشأ هذا من أمرين:

أولهما: حال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند نزول الوحي عليه - حيث يتفصد جبينه من العرق كما في الصحيح عن أم المؤمنين قالت في وصف حال النبي صلى الله عليه وسلم حين نزول الوحي: ((ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد، فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقا)) [(٤)]

ورد الله عليهم قولهم: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ [الأعراف: ١٨٤].

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ * مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ * وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ﴾ [التكوير: ١٩ – ٢٢]

---

(١)مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة (٦/ ٢١٤

(٢)شرح ثلاثة الأصول للعثيمين (ص: ٩٩)

(٣)مجلة البحوث الإسلامية (٤٢/ ١٠١)

(٤)صحيح البخاري (١/ ٧)

والثاني: طبيعة الوحي الإلهي وما فيه من إعجاز، وما في الجمل القرآنية في الآيات، والموازين الحساسة التي توزن بها. وليس للعرب عهد بمثل هذه الموازين الحساسة في الكلام إلا في موازين الشعر. فقالوا: إنه شاعر وما يقوله شعر.

ورد الله تعالى عليهم: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ * وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ * بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الصافات: ٣٥ – ٣٧]

وقال تعالى :[وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ * لِيُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [يس: ٦٩ – ٧٠] (١)

وقد تعلق من جاء بعد أهل مكة بشبه ساقطة تدل على ضحالة وعقم في فهم طبيعة الرسالة، وفهم شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم فمن ذلك:

زواجه بعدد من النساء وجعل ذلك دليلا على شهوانية لا تليق بالرسالة، وإنما هو دليل عليهم لا لهم. فإن النبي صلى الله عليه وسلم ما تزوج من تزوج إلا لأغراض سامية، وكان بإذن من بعثه.

ومن ذلك تعظيمه الحجر الأسود، ومن ذلك تحريمه ما أحل الله، ومن أن الوحي كان يأتيه في ثوب عائشة

وقد تكفل العلماء ببيان وجه ذلك (٢)

وبقيت رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ظاهره، ولن تزال، فإنه صلى الله عليه وسلم ذكر أن طائفة من أمته لا يزالون ظاهرن على الحق، ففي الصحيح عن المغيرة بن شعبة، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «لا يزال طائفة من أمتي ظاهرين، حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون» (٣)

وذكر أن دينه يبلغ ما بلغ الليل والنهار، ففي المسند وغير من حديث تميم الداري، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين، بعز عزيز أو بذل ذليل، عزا يعز الله به الإسلام، وذلا يذل الله به الكفر» (٤).

ولا تزال بشرياته صلى الله عليه وسلم يطلع كل جيل على جزء منها، ولا تزال نبوته صلى الله عليه وسلم متبوعة منصورة، ومهما صادفتها غفوات إلا أنها سرعان ما يزول الران، ويوقن المؤمنون بها.

(١) https://www.alukah.net/sharia/0/118651/#_ftnref4

(٢) ينظر: شبهات وافتراءات حول الرسول صلى الله عليه وسلم وردود كبار العلماء عليها

(٣) البخاري برقم (٧٣١١)

(٤) أخرجه أحمد في المسند (٤/ ١٠٣)، والحاكم في المستدرك، وقال: صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي.

الدرس الخامس عشر : خصائص رسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وأهم حقوقه

عناصر الدرس الخامس عشر : خصائص رسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وأهم حقوقه

- العنصر الأول : خصائص سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم :
- العنصر الثاني : حقوق النبي صلى الله عليه وسلم على أمته :
- العنصر الثالث : ثمرات الإيمان بالرسل :

أهداف الدرس الخامس عشر : خصائص رسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وأهم حقوقه

- تحديد خصائص سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم
- التعرف على حقوق النبي صلى الله عليه وسلم على أمته
- الانتباه بثمرات الإيمان بالرسل

العنصر الأول: خصائص سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم:

توطئة: لقد بلغ سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم باصطفاء الله تعالى المكانة الأعلى للكمال البشري، وهو سيد الخلق كافة، وهو إمام النبيين، والشاهد عليهم وعلى بلاغهم لأممهم، قال تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١]، ولقد أعلى الله ذكره، ورفع شأنه، ومدحه بما لم يمدح به أحدا من أنبيائه، بل أقسم به تعالى في كتابه فقال: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الحجر: ٧٢].

إلا أن الكلام عن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومكانته السامية، قد حدت ببعض من لا مانع عنده من مجاوزة الحد والنص الشرعي من الغلو فيه بما لم يرضه، وبما نهى عنه

لذا كان من الواجب بيان خصائصه صلى الله عليه وسلم في ضوء الأدلة الشرعية، التي من اهتدى بهداه سار في الطريق، ولم يضل السبيل.

وتتمثل خصائص سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في:

١ – عموم رسالته صلى الله عليه وسلم إلى الأسود والأحمر، والجن والإنس جميعا.

كما قال الله سبحانه عن الجن الذين استمعوا لقراءته صلى الله عليه وسلم ثم ولوا إلى قومهم منذرين: ﴿يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾

وقال صلى الله عليه وسلم: «أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا، فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لي المغانم ولم تحل لأحد قبلي، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة» (١)

فرسالته صلى الله عليه وسلم لا تخص أحدا دون غيره (٢).

قال شارح الطحاوية: (أما قول بعض النصارى أنه رسول إلى العرب خاصة: فظاهر البطلان، فإنهم لما صدقوا بالرسالة لزمهم تصديقه في كل ما يخبر به، وقد قال إنه رسول الله إلى الناس عامة، والرسول لا يكذب، فلزم تصديقه حتما) (٣)

٢– أنه خاتم الأنبياء والمرسلين كما دلت على ذلك النصوص.

قال تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب: ٤٠]

---

(١) متفق عليه.

(٢)مجلة البحوث الإسلامية (٩/ ٢٧١)

(٣)شرح الطحاوية (ص: ١٢٦)

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتًا فأحسنه وأجمله، إلا موضع لبنة من زاوية، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة؟ قال: فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين» (١).

وقد أجمعت الأمة على كونه صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين وأنه لا نبي بعده، ومن ادعى النبوة كفر كفرا أكبر يستحق الخلود عليه في النار لو مات على ادعائه، ولم يتب منه ويشهد شهادة الحق (٢).

٣- اختصاصه صلى الله عليه وسلم بأعظم المعجزات، وأعلاها شأنا وقدرا؛ وهو القرآن الكريم.

وقد اختص القرآن من بين كل كتب الله المنزلة أنه محفوظ لا تناله يد التبديل والتحريف إلى أن يأذن برفعه من بين الناس، كما امتاز القرآن بكونه المعجزة الباقية التي لا يزال الإعجاز بها باقيا والتحدي بها قائما. قال تعالى: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨]

وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم مكانة القرآن بين المعجزات الأخرى فقال: «ما من الأنبياء نبي إلا أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحيا أوحاه الله إلي، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة» (٣)

٤- أنه صلى الله عليه وسلم سيد ولد آدم يوم القيامة (٤).

ففي الحديث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وأول من ينشق عنه القبر وأول شافع وأول مشفع» (٥)

قال شارح الطحاوية: فإن قيل: يشكل على هذا قوله صلى الله عليه وسلم: «لا تخيروني على موسى....» (٦) فكيف يجمع بين هذا وبين قوله «أنا سيد ولد آدم ولا فخر».

فالجواب: أن هذا كان له سبب، فإنه كان قد قال يهودي: لا والذي اصطفى موسى على البشر، فلطمه مسلم، وقال: أتقول هذا ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا؟ فجاء اليهودي فاشتكى من المسلم الذي لطمه، فقال النبي صلى الله عليه وسلم هذا، لأن التفضيل إذا كان على وجه الحمية والعصبية وهوى النفس كان مذموما (٧)

---

(١) متفق عليه بنحوه، واللفظ للبخاري.

(٢)أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة (ص: ١٧٠)

(٣) متفق عليه، البخاري برقم (٤٩٨١)، ومسلم برقم (١٥٢)

(٤)أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة (ص: ١٧١)

(٥) أخرجه مسلم برقم (٢٢٧٨)

(٦) متفق عليه

(٧)شرح الطحاوية (ص: ١١٩) بتصرف.

وقد نهى عن الدخول في المفاضلة بينه وبين الأنبياء في مثل هذه الحالة؛ خشية أن يجر إلى ما لا تحمد عقباه، وإن كان تفضيل بعضهم على بعض ثابتا في القرآن والسنة، وتعيين من هو أفضل ثابتا أيضا بالنص الصريح (١)

وقال ابن عثيمين: (ولما التقى بهم في الإسراء أَمَّهم في الصلاة، فإبراهيم إمام الحنفاء صلى وراء محمد صلى الله عليه وسلم، ومعلوم أنه لا يقدم في الإمامة إلا الأفضل، فالنبي صلى الله عليه وسلم هو أفضل أولي العزم) (٢).

٥- لا يتم إيمان عبد حتى يؤمن برسالته

لقوله تعالى: ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ...﴾ [النساء: ٦٥] (٣)

٦- صاحب لواء الحمد يحمله -صلى الله عليه وسلم- يوم القيامة ويكون الحامدون تحته.

لحديث أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: "أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، وبيدي لواء الحمد ولا فخر، وما من نبي يومئذ آدم فمن سواه إلا تحت لوائي، وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر" (٤)

٧- إمام النبيين وخطيبهم وصاحب شفاعتهم

لحديث أبي بن كعب أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: "إذا كان يوم القيامة كنت إمام النبيين وخطيبهم وصاحب شفاعتهم غير فخر"(٥)

٨- أن أمته خير الأمم وأكثر أهل الجنة.

قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠]

٩- أنه صاحب الشفاعة العظمى وذلك عندما يشفع لأهل الموقف في أن يقضي بينهم ربهم بعد أن يتدافعها أفضل الرسل وهي المقام المحمود المذكور في قوله تعالى: ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩] (الإسراء: ٧٩). وقد فسر المقام المحمود بالشفاعة جمع من الصحابة والتابعين منهم حذيفة وسلمان وأنس وأبو هريرة وابن مسعود وجابر بن عبد الله وابن عباس ومجاهد وقتادة وغيرهم. وقال قتادة: "كان أهل العلم يرون المقام المحمود هو شفاعته يوم القيامة ". وقد دلت السنة كذلك على

---

(١)مجلة البحوث الإسلامية (٤٢/ ١٠٥)

(٢)شرح الأربعين النووية للعثيمين (ص: ٤٦)

(٣)تعليق مختصر على لمعة الاعتقاد للعثيمين (ص: ١٣٦)

(٤) أخرجه الترمذي في سننه (٥/ ٣٠٨)، برقم (٣١٤٨) وقال: حديث حسن ن وصححه الشيخ الألباني.

(٥) أخرجه الترمذي، وابن ماجه، وحسنه الشيخ الألباني.

شفاعته صلى الله عليه وسلم في أهل الموقف كما جاء ذلك في حديث الشفاعة الطويل الذي أخرجه الشيخان من حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر اعتذار آدم ثم نوح ثم إبراهيم ثم موسى ثم عيسى عن قبول الشفاعة وكلهم يقول: (لست هناك) إلى أن قال: «فيأتوني فأنطلق، فأستأذن على ربي فيؤذن لي عليه، فإذا رأيت ربي وقعت له ساجدا فيدعني ما شاء الله أن يدعني، ثم يقال لي: ارفع محمد، قل يسمع، وسل تعطه، واشفع تشفع فأحمد ربي بمحامد علمنيها ثم أشفع» (١)

١٠- أنه صاحب الوسيلة، وهي درجة عالية في الجنة، لا تكون إلا لعبد واحد، وهي أعلى درجات الجنة. فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا علي، فإنه من صلى عليَّ صلاة صلى الله عليه بها عشرا، ثم سلوا الله لي الوسيلة، فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو فمن سأل لي الوسيلة حلت له الشفاعة» (٢).

١١- أخذ العهد له صلى الله عليه وسلم على جميع الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام.

من الأمور التي تدل على عظيم قدره صلى الله عليه وسلم عند ربه ما أخذه الله من العهد له صلى الله عليه وسلم على جميع الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام على أنه لو بعث صلى الله عليه وسلم وهم أحياء أو أحد منهم فإنه يجب عليهم أن يؤمنوا به ويتبعوه وينصروه. قال تعالى:﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾[آل عمران: ٨١] (٣)

١٢- أنه صلى الله عليه وسلم أكثر الأنبياء تبعا.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "ما من نبي إلا أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحيا أوحاه الله إلي، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة" —

١٣- رفعه صلى الله عليه وسلم الإصر والأغلال التي كانت على من قبلنا

كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ [الأعراف: ١٥٧]

---

(١) متفق عليه.

(٢) أخرجه مسلم، برقم (٣٨٤)

(٣)حقوق النبي صلى الله عليه وسلم على أمته في ضوء الكتاب والسنة (٢/ ٣٩٥)

العنصر الثاني: حقوق النبي صلى الله عليه وسلم على أمته:

تتمثل حقوقه صلى الله عليه وسلم على كل من آمن به فيما يلي:

١- **الإيمان المفصل بنبوته ورسالته واعتقاد نسخ رسالته لجميع الرسالات السابقة**. ومقتضى ذلك: تصديقه فيما أخبر، وطاعته فيما أمر، واجتناب ما نهى عنه وزجر، وألا يعبد الله إلا بما شرع.

٢- وجوب الإيمان بأن الرسول صلى الله عليه وسلم بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح للأمة، فما من خير إلا ودل الأمة عليه ورغبها فيه، وما من شر إلا ونهى الأمة عنه وحذرها منه. قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]

٣ – **محبته صلى الله عليه وسلم وتقديم محبته على النفس وسائر الخلق**. والمحبة وإن كانت واجبة لعموم الأنبياء والرسل إلا أن لنبينا صلى الله عليه وسلم مزيد اختصاص بها ولذا وجب أن تكون محبته مقدمة على محبة الناس كلهم من الأبناء والآباء وسائر الأقارب بل مقدمة على محبة المرء لنفسه «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين» [٣]. وعن عمر رضي الله عنه أنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله أنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «لا والذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك». فقال له عمر: فإنه الآن والله لأنت أحب إلي من نفسي. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «الآن يا عمر» [١]

٣- **تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم وتوقيره وإجلاله**. فإن هذا من حقوق النبي صلى الله عليه وسلم التي أوجبها الله في كتابه. قال تعالى: ﴿لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾ [الفتح: ٩]

٥ – الصلاة والتسليم على النبي صلى الله عليه وسلم والإكثار من ذلك كما أمر الله بذلك. قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾

٦ – **الإقرار له بما ثبت في حقه من المناقب الجليلة والخصائص السامية** والدرجات العالية الرفيعة على ما تقدم بيان بعضها في أول هذا المبحث وغير ذلك مما دلت عليه النصوص. والتصديق بكل ذلك والثناء عليه به ونشره في الناس، وتعليمه للصغار وتنشئتهم على محبته وتعظيمه ومعرفة قدره الجليل عند ربه عز وجل

٤- **تجنب الغلو فيه والحذر من ذلك فإن في ذلك أعظم الأذية له صلى الله عليه وسلم.** قال تعالى آمرًا نبيه صلى الله عليه وسلم أن يخاطب الأمة بقوله: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ

يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠]

٨= **ومن حقوق النبي صلى الله عليه وسلم محبة أصحابه وأهل بيته وأزواجه وموالاتهم جميعًا** والحذر من تنقصهم أو سبهم أو الطعن فيهم بشيء فإن الله قد أوجب على هذه الأمة موالاة أصحاب نبيه وندب من جاء بعدهم إلى الاستغفار لهم وسؤال الله ألا يجعل في قلوبهم غلا لهم. فقال بعد أن ذكر المهاجرين والأنصار: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠] (١)

٥- تعظيم قدره صلى الله عليه وسلم بعد مماته (٢)

وهذا التعظيم محدود بإطار الشريعة، فإنه صلى الله عليه وسلم أوجب محبته الدائمة، وحذر من خروجها عند الحد المشروع، ففي الحديث قال صلى الله عليه وسلم: «لا تطروني، كما أطرت النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبده، فقولوا عبد الله، ورسوله» (٣).

وفي الحديث أيضا: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تجعلوا بيوتكم قبورا، ولا تجعلوا قبري عيدا، وصلوا علي فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم» (٤)

العنصر الثالث: ثمرات الإيمان بالرسل:

للإيمان ثمرات شتى يدركها المؤمن، وليس من أركان الإيمان ركن إلا وله من الثمرات والمميزات ما يعود في نفعه وبركته عليه في الدنيا والآخرة.

ولقد مر أن الإيمان بالأنبياء لا يجوز أن يعتمد على الانتقاء، بل الإيمان بهم على ما جاءنا في كتاب الله، **وخبر الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم، فقد أخبر عن صفات بعض الأنبياء الخلقية**، ففي الصحيح من حديث أبي هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " رأيت موسى: وإذا هو رجل ضرب رجل، كأنه من رجال شنوءة، ورأيت عيسى، فإذا هو رجل ربعة أحمر، كأنما خرج من ديماس، وأنا أشبه ولد إبراهيم صلى الله عليه وسلم به" (٥).

ونزه مكانتهم وأشاد بها صلى الله عليه وسلم فقال منزها لهم عن ورفعا لمنزلتهم ومكانتهم: نحن أحق بالشك من إبراهيم إذ قال: ﴿رب أرني كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي﴾

(١)أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة (ص: ١٧٣)

(٢)حقوق النبي صلى الله عليه وسلم على أمته في ضوء الكتاب والسنة (٢/ ٤٦٣)

(٣) أخرجه البخاري، برقم (٣٤٤٥)

(٤)أخرجه أبو داود، برقم (٢٠٤٢) وصححه الألباني.

(٥) متفق عليه

[البقرة: ٢٦٠] ويرحم الله لوطا، لقد كان يأوي إلى ركن شديد، ولو لبثت في السجن طول ما لبث يوسف، لأجبت الداعي "(١)

قال ابن عثيمين: ليس معناه أن إبراهيم شاك، لكن إن قدر أن يحصل شك؛ فنحن أولى بالشك منه، وإلا؛ فلسنا نحن شاكين، وكذلك إبراهيم ليس شاكا (٢).

وهكذا في شأن يوسف عليه السلام، قال ابن حجر: (وصفه بشدة الصبر حيث لم يبادر بالخروج وإنما قاله صلى الله عليه وسلم تواضعا) (٣)

ومن ثمرات الإيمان بالرسل ما يلي:

١- العلم بعناية الله سبحانه بخلقه ورحمته بهم حيث خلقهم ورزقهم ولم يتركهم هملا. بل أرسل إليهم رسولا منهم بشيرا ونذيرا، وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا. قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة ١٢٨].

٢- شكر الله سبحانه والثناء عليه على تفضله وإنعامه على خلقه ورعايته لهم.

٣- محبة الرسل وتقديرهم وتعظيمهم والثناء عليهم لما قاموا به من تنفيذ الأوامر الإلهية. ولما تحمّلوه من الأذى والتعب والمشقة في سبيل ذلك من أقوالهم (٤).

٤- معرفتهم ومعرفة ما يدعون إليه وعدم الإعراض عنهم فإن الإعراض ناقض من نواقص الإسلام.

٥- التمسك بهديهم وعدم الخروج عنه ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ الأنعام ٩٠.

---

(١) متفق عليه.

(٢)القول المفيد على كتاب التوحيد (١/ ٢١٩)

(٣)فتح الباري لابن حجر (٦/ ٤١٣)

(٤)أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة (ص: ١٥٥)

المصادر والمراجع

١- صحيح البخاري، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ

٢- صحح مسلم، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت

٣- سنن أبي داود، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا – بيروت

٤- سنن الترمذي، أحمد محمد شاكر وزميلاه، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، الطبعة: الثانية، ١٣٩٥ هـ – ١٩٧٥ م

٥- مسند أحمد بن حنبل، المحقق: السيد أبو المعاطي النوري، الناشر: عالم الكتب – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ. ١٩٩٨ م

٦- إعجاز القرآن للباقلاني، المحقق السيد أحمد صقر، الناشر دار المعارف – مصر، الطبعة الخامسة، ١٩٩٧م

٧- التعليقات المختصرة على متن العقيدة الطحاوية، المؤلف: صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، الناشر: دار العاصمة للنشر والتوزيع

٨- حقوق النبي صلى الله عليه وسلم على أمته في ضوء الكتاب والسنة، المؤلف محمد بن خليفة بن علي التميمي، الناشر أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م

٩- معارج القبول، للشيخ حافظ حكمي، المحقق عمر بن محمود أبو عمر، الناشر دار ابن القيم – الدمام، الطبعة الأولى، ١٤١٠ هـ – ١٩٩٠ م

١٠- الإتقان في علوم القرآن، لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، المحقق محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م

١١- أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، للفاكهي، المحقق د. عبد الملك عبد الله دهيش، الناشر دار خضر – بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٤

١٢- إرشاد الفحول، للشوكاني، المحقق الشيخ أحمد عزو عناية، دمشق - كفر بطنا، الناشر دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م

١٣- أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة، المؤلف نخبة من العلماء، الناشر وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ
١٤- إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد، المؤلف صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، الناشر مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م.
١٥- الاعتقاد، لأبي الحسين ابن أبي يعلى، المحقق محمد بن عبد الرحمن الخميس، الناشر دار أطلس الخضراء، الطبعة الأولى، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢
١٦- أعلام النبوة، للماوردي، الناشر دار ومكتبة الهلال – بيروت، الطبعة الأولى - ١٤٠٩ هـ
١٧- إكمال المعلم، للقاضي عياض، المحقق د يحيى إسماعيل، والناشر: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م
١٨- البداية والنهاية، لابن كثير، الناشر دار الفكر، عام النشر ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م
١٩- بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية، لابن تيمية، المحقق موسى الدويش، الناشر مكتبه العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثالثة، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م
٢٠- تعليق مختصر على كتاب لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد، لابن عثيمين، المحقق أشرف بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، الناشر مكتبة أضواء السلف، الطبعة الثالثة ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م
٢١- تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، المحقق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م
٢٢- جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري، المحقق أحمد محمد شاكر، الناشر مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م
٢٣- حاشية الأصول الثلاثة، الطبعة الأولى، الناشر وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، ١٤١٦هـ
٢٤- دقائق التفسير، لابن تيمية، المحقق د. محمد السيد الجليند، الناشر مؤسسة علوم القرآن – دمشق، الطبعة الثانية، ١٤٠٤
٢٥- دلائل النبوة، للبيهقي، الناشر دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى - ١٤٠٥ هـ
٢٦- رسائل الشيخ محمد بن إبراهيم الحمد في العقيدة
٢٧- الرسل والرسالات، عمر الأشقر، الناشر مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، الكويت، دار النفائس للنشر والتوزيع، الكويت، الطبعة الرابعة، ١٤١٠ هـ - ١٩٨٩ م

٢٨- الروض الأنف، للسهيلي، الناشر دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ

٢٩- زاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي، الناشر المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٤

٣٠- زاد المعاد في هدي خير العباد، لابن القيم، الناشر مؤسسة الرسالة، بيروت - مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، الطبعة السابعة والعشرون , ١٤١٥هـ /١٩٩٤م

٣١- سير أعلام النبلاء، للذهبي، المحقق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م

٣٢- السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة، المؤلف: محمد أبو شُهبة، الناشر: دار القلم – دمشق، الطبعة: الثامنة – ١٤٢٧ هـ

٣٣- شبهات وافتراءات حول الرسول صلى الله عليه وسلم وردود كبار العلماء عليها

٣٤- شرح الأربعين النووية، لابن عثيمين، الناشر دار الثريا للنشر

٣٥- شرح العقيدة الطحاوية لابن جبرين

٣٦- شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز، تحقيق أحمد شاكر، الناشر وزارة الشؤون الإسلامية، والأوقاف والدعوة والإرشاد، الطبعة الأولى - ١٤١٨ هـ

٣٧- شرح العقيدة الواسطية، لابن عثيمين، الناشر دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة السادسة، ١٤٢١ هـ

٣٨- شرح ثلاثة الأصول، لابن عثيمين، الناشر دار الثريا للنشر، الطبعة الرابعة ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م

٣٩- شرح رياض الصالحين، لابن عثيمين، الناشر دار الوطن للنشر، الرياض، الطبعة ١٩٨٥

٤٠- طريق الهجرتين وباب السعادتين، لابن القيم، تحقيق عمر بن محمود أبو عمر، الناشر دار ابن القيم – الدمام، الطبعة الثانية، ١٤١٤ – ١٩٩٤،

٤١- العقيدة الصحيحة وما يضادها، لابن باز، الناشر الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة السنة السابعة العدد الثالث محرم ١٣٩٥ هـ/ يناير ١٩٧٥ م

٤٢- فتح ذي الجلال والإكرام بشرح بلوغ المرام، لابن عثيمين، تحقيق وتعليق صبحي بن محمد رمضان، الناشر المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م

٤٣- الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، لابن تيمية، حققه وخرج أحاديثه عبد القادر الأرناؤوط، الناشر مكتبة دار البيان، دمشق، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥

٤٤- القول المفيد على كتاب التوحيد، لابن عثيمين، الناشر دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية، محرم ١٤٢٤هـ

٤٥- كتاب التعريفات، للجرجاني، المحقق ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، الناشر دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م

٤٦- الكتاب المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، المؤلف د. محمد حسن حسن جبل، الناشر مكتبة الآداب – القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠١٠ م.

٤٧- كرامات الأولياء، للالكائي، تحقيق أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي، الناشر دار طيبة – السعودية، الطبعة الثامنة، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م

٤٨- لوامع الأنوار البهية، للسفاريني، الناشر مؤسسة الخافقين ومكتبتها – دمشق، الطبعة الثانية – ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م

٤٩- مجلة البحوث الإسلامية - مجلة دورية تصدر عن الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، المؤلف الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد

٥٠- مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

٥١- مجلة جامعة أم القرى.

٥٢- مجموع الفتاوى، لابن تيمية، المحقق عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، عام النشر ١٦هـ/١٩٩٥م

٥٣- مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، جمع وترتيب فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان، الناشر دار الوطن - دار الثريا، الطبعة الأخيرة - ١٤١٣ هـ

٥٤- المحرر الوجيز، لابن عطية، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، دار النشر دار الكتب العلمية - لبنان - ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م، الطبعة الأولى

٥٥- مدارج السالكين، لابن القيم، المحقق محمد المعتصم بالله البغدادي، الناشر دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م

٥٦- المدخل لدراسة علوم القرآن، محمد أبو شهبة، ط دار اللواء، المملكة العربية السعودية، ١٩٨٧

٥٧- معالم التنزيل في تفسير القرآن، للبغوي، المحقق حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر – وزميلاه، الناشر دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م

٥٨- معتقد فرق المسلمين واليهود والنصارى والفلاسفة والوثنيين في الملائكة المقربين، د محمد بن عبد الوهاب العقيل
٥٩- الملل والنحل، للشهرستاني، تحقيق محمد سيد كيلاني، الناشر دار المعرفة - بيروت، ١٤٠٤
٦٠- منهاج السنة النبوية، لابن تيمية، المحقق محمد رشاد سالم، الناشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م
٦١- النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن، المؤلف: محمد عبد الله دراز، الناشر: دار الثقافة. الدوحة، الطبعة: ١٩٨٥
٦٢- نبذة في العقيدة الإسلامية، لابن عثيمين، الناشر دار الثقة للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م
٦٣- النبوات، لابن تيمية، الناشر المطبعة السلفية - القاهرة، ١٣٨٦
٦٤- هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، لابن القيم، الناشر الجامعة الإسلامية - المدينة المنورة
٦٥- https //www.alukah.net/sharia/0/106084/ بتصرف.
٦٦- https //www.alukah.net/sharia/0/118651/#_ftnref4